

المجنون

بين

النعيقية والنوهم خيط غير

مرئي وبين الحب والعاطفه خطوة

قصيرة. لم يبرع دان ترافورد في مهنة الطب

وحسب بل وفي اغواء النساء ايضا. لكن جيسيكا

الطبيبة الشابة القادمة حديثا الى المدينة قررت ان تظل

بعيدة عن شبابة المغرية حتى لا يضاف اسمها الى لائحة

فتوحاته. المشكلة انه ابي ان ينظر اليها كأمرأة. فتحدثه

سلاحها ثققتها بنفسها وقدرتها على التحكم في عواطفها.

لكنه لم يدخر جهدا ولا حيلة ليجردها من سلاحها.

القلعة المحصنة جهدا تبقى. الا اذا طال العصار.

ويأتى الانهيان. حاده. من الداخل.

عيسى

١ - جسيكا نيل كانت عرضة للملاحقة
الكثيرين من الأطباء بسبب قلة الطبييات
الجميلات مثلها. ولكن اهتمامها كان ينصب
على التفوق في مهنتها غير مبالية بكل ما يمت
بصلة الى أنوثتها. . . .

تهادى جوناثان نيل على المقعد الجلدي خلف مكتبه الفاخر باضطراب
وتعلم واضحين وألقى نظرة فاحصة على ابنته جسيكا الواقفة في وسط
الغرفة، لا تحرك ساكناً. لقد أثار قرارها شجوناً قديمة في نفسه، ونبش
صفحات من الماضي ظلماً متى ألا تعود، فبدأ مغموماً، في عينيه أصداء
قلق عميق، وعلى شفثيه أشباح كلمات يحاول خنقها قدر المستطاع.
اليوم قررت ابنته التقدم لوظيفة شاغرة في مدينة لويزفيل كطبيبة
مساعدة للدكتور اوبريان وشريكه. جاءت لتعلمه بخطوتها لا لتأخذ
برأيه، فهو أعلم الناس بابنته وبصعوبة تراجعها عن أي قرار تتخذه.
زفر الأب العجوز زفرة طويلة ورفع حاجبيه سائلاً:
- وماذا عن قرارك، التخصص في طب الأطفال؟
اجابت جسيكا بحزم عمزوج باللوم:

- كان هذا قرارك يا والدي من غير ان تستشيرني.
تردد صدى كلماتها في ارجاء الغرفة، وأحست انها أخطأت في اختيار
عبارتها. لم تقصد ان تنفض الغبار عما حدث يوم قرر أخوها جايمس، الذي
يكبرها بأربع سنوات، العدول عن اكمال تخصصه في الجراحة العامة
كوالده مفضلاً الالتحاق بكلية الهندسة. يومها لم تخف خيبة جوناثان نيل
على احد، لكنه كتم غيظه وجاهد في اخفاء قنوطه حتى لا يشكل موقفه
عثرة في مستقبل ابنه البكر، الابن الذي اراده ان يجسد الحلم ويحمل اسم
العائلة بعده في ميدان الطب.
منذ حداتها، عمل الوالد الطبيب، على تنشئة ولديه تنشئة صالحة

وحاول منذ بدئها دراستها الثانوية جذبها الى حقل الطب، وما ان اوشك على قطف ثمرة محاولاته حتى فوجئ بقرار جايمس. لكن خيبته لم تدم طويلا وحلت مكانها فرحة عامرة عندما انبأته جسيكا بعزمها على دخول معهد الطب وسلوك نفس الطريق الذي بدأه منذ أربعين سنة. والآن ولما تكتمل الفرحة بعد، ها هي تواجهه بقرار موجه آخر لا تدري ما ستكون عاقبته.

مسح جوناثان وجهه براحة يده وكأنه يطرد صوراً قائمة من مخيلته، وتطلع الى ابنته الحسناء بحنان:

- هل اسأت التصرف معك يا جسيكا؟

أدركت ان الفرصة سانحة لتكفر عن فظاظه عبارتها السابقة، فاجابت بتودد:

- ما هذا الكلام يا والدي؟ أنت نعم الأب ولن أنسى أبداً ارشاداتك لي واهتمامك بمستقبلي.

أكمل العجوز بألم ما أحجمت ابنته عن قوله:

- وتعتقدين ان الوقت حان لتستقلي. اليس كذلك؟

- عليّ ان أشق طريقي بمفردي واختار ما أظنه الأفضل.

خيم صمت ثقيل على القاعة، وغرق الاثنان في سكوت وتردد. فجأة، نهض الوالد عن مقعده ومشى نحو المكتبة الزاخرة بكتب الطب القيمة وصاح بصوت أجش تخنقه الغصة:

- ويحك يا جسيكا. لا يعقل ان يهدر شخص بمستواك الثقافي حصيلة علمه وجهده في مكان مزر كلويزفيل.

- لا أظن ان انتقالي الى لويزفيل سيهدر مستقبلي يا والدي، بل سيتيح لي الاطلاع على حالات كثيرة ومختلفة تساعدني على اكتشاف مدى تقدمي كطبيبة.

- بإمكانك اكتشاف ذلك هنا، في هذه المستشفى.

اجابت الابنة بعناد عكسته عينها الباردتان:

- كلا فانا لم أفعل ما يستحق الذكر طوال العام المنصرمين ولم أعاين في هذه المستشفى سوى مرضى لم يكثر لهم بقية الأطباء لأن حالتهم لا تدعو الى التعلق، وبالتالي لا فائدة لهم منهم.

وأضافت بمرارة:

- تدريبي هنا لم يفدني على الإطلاق.
- هذا تهجم فاضح يا جسيكا.
- انها الحقيقة يا والدي.

التقت عيونها للحظات قصيرة، التقطت خلالها انفاسها وتابعت بلهجة حانقة:

- الأطباء هنا متشدقون يلهثون وراء المال والشهرة بأساليب قدرة ضاربين بجوهر هذه المهنة النبيلة عرض الحائط.

علق جوناثان بتحد:

- أعتقد ان الأمر مختلف في لوزفيل؟

- لدي من الأسباب ما يحملني على هذا الاعتقاد.

أدرك العجوز عقم الجدل فعاد الى المقعد وأسند رأسه الى حافته:

- يبدو انه كتب لي أن أصاب بالحيلة مرة بعد مرة.

لم تبال جسيكا بما قال:

- أظن ان وقع الأمر على أمي سيكون قاسياً.

- هل تريدني ان أفتحها بالأمر؟

رفعت رأسها دلالة على الرفض مقتربة من مقعده برشاقتها المعهودة، وقالت بحنان:

- سأطلعها على الأمر بنفسي، الليلة بعد العشاء مباشرة.

عند عودتها الى المنزل اتجهت جسيكا الى غرفتها وارتمت بارتياح على السرير.

لقد تخطت لتوها العقبة الأولى ولم يبق امامها سوى والدتها المعروفة بصعوبة مراسها، لكنها لن تدخر جهداً لنيل موافقتها ولو كلفها ذلك مخلصتها.

استحمت وبدلت ثيابها ثم وقفت امام المرآة الكبيرة. لم تعتد الاهتمام

بنفسها، او صرف وقت طويل في التبرج كغيرها من الفتيات، مفضلة

ارتداء ما يريحها من الملابس من غير ان تأبه يوماً للون او للزّي، فلديها

القدر الكافي من الجمال وشعرها الكستنائي المتهدل بفوضى صارخة على

كتفها يزيدا انوثة واغراء. وعيناها الداكنتان الواسعتان فوق أنفها

الصغير تصفيان على محياها سحرًا وجاذبية.

تذكرت أيام الدراسة عندما كانت محط انظار الشبان، وانتقالها الى المستشفى حيث كانت عرضة للملاحقة الكثيرين من الأطباء بسبب قلة الطبيبات الجميلات. لكنها لم تترك نفسها أبداً تنجرف في علاقة مع أي منهم. فقد انصب اهتمامها على اثناء تخصصها في أسرع وقت وثابت مقدرتها في التفوق على أقرانها غير مبالية بكل ما يميت الى انوثتها بصلة. جلست جسيكا الى المائدة من غير ان تمد يدها الى الطعام مكتفية بتناول كوب من العصير، تسترق النظر بين الحين والآخر الى والدتها متحينة الفرصة لمفاجئتها بالأمر. اخيراً جاءها العون من والدها، الذي انتهى طعامه وتوجه لتمضية عدة ساعات في المكتبة كعادته في كل مساء، تاركاً اياها بمفردهما.

استمعت اميليا نيل الى ابنتها وهي تبين لها فوائد الانتقال الى مدينة جديدة شاكية اليها رتبة العمل في مستشفى والدها. ولما انتهت جسيكا من تعليل قرارها سألتها والدتها بعصية:

- وهل يعلم والدك بالأمر؟

- أجل، تباحثنا بالأمر اليوم بعد الظهر.

ازداد فضول الأم لمعرفة موقف زوجها فاستهمت:

- وماذا كان جوابه؟

- أظنه وافق في النهاية.

- لا عجب في ذلك، فلا احد يجاريك في عنادك يا جسيكا.

مضت الايام سريعة مقربة موعد رحيل جسيكا، من غير ان يبدر منها ما يوحي بعدوها عن قرارها. من جهتها، تحب الوالدان الخوض في موضوع السفر مفضلين تجاهل الأمر، وحدث ابنتها حذوها فصارت تعتمد التغيب عن المنزل وقضاء أطول وقت ممكن في المستشفى.

وفي الليلة الأخيرة لجسيكا في جوهانسبرغ التقى الثلاثة على مائدة العشاء في جو مشحون بالقلق والغم. بعد ساعات معدودة مشترك الابنة الوحيدة المنزل مخلقة وراها فراغاً من المستحيل ملؤه، وشعوراً بالحيرة يصعب التغلب عليه.

قطع صوت جوناثان الأجرس حبل الصمت ضارباً بقبضتيه بعنف

على الطاولة:

- انت مجنونة يا جسيكا لتقدمي على هجر مدينة كجوهانسبرغ والتخلي عن الفرص الهائلة المتاحة لك فيها. ان كنت تسعين للعمل بمفردك، فأنا مستعد لتدبير عيادة مستقلة لك، لكن ان تدفني نفسك في بقعة قصية، فهذا أسخف ما سمعته أذناي حتى الآن.

وعاود ضرب الطاولة بقبضته مطيحاً بالاطباق الموجودة امامه وأردف:
- هذا عمل أحمق لا يعقل ان يصدر عن احد من سلالة جوناثان نيل.
تبادلت جسيكا ووالدها نظرات قلقة، ابتسمت بعدها الطيبة الشابة بفتور:

- أشكر لك اهتمامك وتفانيك في الاعتناء بي يا أبي. لكن قبل البحث عن عيادة والاستقلال في ممارسة المهنة، علي ان أحصل على الخبرة اللازمة. مضى عامان على عملي في المستشفى من غير ان تتاح لي الفرصة للتحقق من قدرتي كطبيبة، وهذا ما أتوق الى تحقيقه في لوزيفيل.

- وهل كان عليك الارتباط بعقد لسنة كاملة؟

- انه أحد شروط الوظيفة وأنا سعيدة به...

قاطعتها الأم خوفاً من انعكاس الجدل على صحة الوالد العجوز، وسألت ابنتها بحنان:

- وماذا عن موضوع الزواج يا ابنتي؟

- الزواج؟

- اجل الزواج. خلال الأعوام الماضية كنت أكتفي بالاستماع اليكما تتناقشان امور الطب ومستقبل مهنتك كطبيبة. والان اكتشفت ان كثرة اهتمامك في عملك أنساك انك امرأة.

فوجئت الابنة بالسؤال فردت من غير تفكير:

- طبعاً يا أمي، انما...

- اذن، هلا أوليت الموضوع جدية واهتماماً كافيين؟ ستناهزين الثامنة والعشرين عما قريب ولن تبقي شابة مدى العمر.

ضاق جوناثان ذرعاً بالكلام عن الزواج وهناك أمر يفوقه أهمية، فهتف بشمل:

- بريك يا اميليا، ألا يمكن تأجيل هذا الموضوع؟ امامها الوقت الكافي

الهواء البارد، مودعة والديها. ثم انطلقت بسيارتها بين خطوط الجليد،
المرسومة على حافتي الطريق وسطوح المنازل، متجهة شمالاً الى لوزيفيل.
لحظات الوداع صعبة ويد والدها تلوح لها ما زالت امام ناظرها، ودعاء
أمرها لها بالتوفيق ما يبرح صدها يتردد في أذنيها. لكنها لن تتراجع عن قرارها
ولن تدع العاطفة تقف حاجزاً بينها وبين المستقبل.

لم تكذب تبعد عن جوهانسبرغ حتى شعرت بأطرافها تكاد تتجمد بالرغم
من تشغيلها جهاز التدفئة، لكنها لم تأبه بذلك وراحت تشغل نفسها بمنظر
الوشاح الأبيض وقد غطى السیطة في حياكة رائعة.

أحست بتغير طفيف في الطقس فور اجتيازها جبال السوتبانسبرغ
وانحدارها في الطريق العريض ناحية الوادي حيث وجدت نفسها وسط
غابات من أشجار الحبيب لم يقو الثلج على إخفاء خضرتها.

تذكرت ما سمعته عن هذه المنطقة وعن شتاتها اللطيف وصبغها الحار،
فلم تقطع عدة أميال حتى خلعت سترتها الصوفية وقفازها السميكين مبقية
على قميص حريري رقيق ارتدت فوقها سترة جلدية زرقاء.
في نهاية الغابات، سلكت جسيكا طريقاً متعرجاً يصل الى سفح الجبل
حيث تقع في نهايته بلدة لوزيفيل. مرت على محطة للوقود عند أطراف
البلدة، فملأت خزان سيارتها ودخلت مكتب الاستعلامات للاستدلال
على منزل الدكتور اوبريان.

أشارت المسؤولة باصبعها الى الطريق العام قائلة:

- عليك بالعودة مسافة نصف ميل والانهطاف شمالاً عند الصخرة
الضخمة. ثم اتجهي الى اليمين عند التقاطع الثاني وستجدين منزلاً مؤلفاً
من طابقين. انه المنزل المشود فالدكتور اوبريان وحده يملك مثله هنا.

عادت جسيكا ادراجها الى السيارة ترافقها نظرات المسؤولة الفضولية
وانطلقت تتبع التعليمات، الى ان وصلت الى حيث الصخرة الكبيرة
فانعطفت الى اليمين عملاً بكلام السيدة لتجد نفسها بعد التقاطع الثاني
امام المنزل. ترجلت من السيارة وصعدت الدرجات القليلة امام مدخله
الفخم تتأمل نوافذه الكبيرة وحديقته المنمقة. لقيت الباب مفتوحاً فأطلت
برأسها من غير استئذان، وألقت نظرة سريعة على الرواق الفسيح الممتد
امامها تغطي بلاطه سجادة صينية ثمينة. لكنها أحجمت عن الدخول

وتغلب حياؤها على فضولها وضغطت على الجرس فعلاً رنينه بنغمة حلوة في
أرجاء المنزل.

مضت لحظات قبل ان تسمع جسيكا صوت امرأة قادمة من الأعلى:
- دكتور نيل على ما أظن. أرجوك تفضل بالدخول وسأوافيك حالاً.
دخلت جسيكا مرة أخرى تسترق النظر الى مصدر الصوت. وخطت
بضع خطوات في الرواق حتى بانث في الطرف الآخر امرأة هبية الطلعة،
ممشوقة القوام هفتت باستغراب خجول:

- أه، أرجو المَعذرة يا أَسْمَاء. كنت أتوقع قدوم الدكتور نيل و...
- أنا الدكتور نيل.

جحظت عينا السيدة تعجباً ورمقت صبغتها بنظرة طويلة ختمتها
بضحكة رنانة تردد صداها في أرجاء الرواق وسألت غير مصدقة:
- أنت؟ انت الدكتور نيل؟

لم يرق هذا الاستقبال لجسيكا فقطت حاجبيها وهمت بالتوجه الى
الباب، لكن السيدة استدركت الأمر قائلة:

- انا أَسْمَاء يا عزيزتي، لكن لم أقدر على تمالك نفسي.
- يبدو انك لم تتوقعي ان يكون الدكتور نيل امرأة.
- صحيح... أعني لا... يا الهي اني أتصرف كالبهائم تماماً. أرجوك
تعالي نجلس وسأشرح لك كل شيء.

سارت السيدة امام جسيكا الى غرفة جلوس انيقة زاخرة بالتحف على
أنواعها، وجلست قبالتها قائلة:

- لم يكف زوجي طيلة الاسبوع المنتصرم عن الحديث عن الرجل القادم
للعمل معنا. اني أتخرق لرؤية وقع المفاجأة عليه حين يكتشف انك امرأة.
أريك كلامها جسيكا فهي لم تدرك أبداً انها يتوقعان رجلاً للوظيفة
الشاغرة، فهذا سيزيد الأمر تعقيداً.

- لم يسبق للدكتور اوبريان ان استعلم عن هذا الأمر وخلته اكتشف
ذلك بنفسه بعد مراسلتي له.

- انه يجب المفاجآت من حين الى آخر. أرجو المَعذرة يا عزيزتي، انا
فيبيان زوجة الدكتور اوبريان. والآن، وبعدما اطلعتك على هويتي، أرجو
ان تشبعي فضولي وتخبيريني الى ما يرمز الحرف ج.

- جسيكا .

- نسبت ان اقوم بواجب الضيافة . هل آتيك بفتجان من الشاي او القهوة؟

- شكراً لك، لكن أفضل أخذ قسط من الراحة أولاً بعد هذا النهار الحافل .

- بكل تأكيد . سأرشدك الى . . .

قطع رنين الهاتف على فيفيان عبارتها فاعتذرت والتقطت السماعة مديرة ظهرها لجليستها .

- اجل يا بيتر، لقد وصل الدكتور نيل وكنت على وشك ارشاده الى حجرتي . ستكون في انتظارك هنا . الى اللقاء يا حبيبي .

- أكان المتحدث الدكتور اوبريان؟

- اجل وسيوافينا بعد قليل . دعيني أدلك الى مكان سكنك .

تبعها جسيكا على مهل، تحتازان الحديقة الراقدة بحبور في أحضان خيوط الشمس الذهبية .

- بامكانك موافاتي الى مسكنك بالسيارة، فهناك مرآب خاص بها . قادت جسيكا سيارتها عبر الطريق الرملي الملتف حول الحديقة وأوقفتها امام منزل خشبي فتحت فيفيان بابه لتدخل حقائبها .

لم يكن المنزل صغيراً كما خيل لجسيكا . فيه غرفتان للنوم اضافة الى قاعة للجلوس وأخرى للطعام ومطبخ وحمام صغيران .

تجولت مع فيفيان في أرجائه تستمع الى شرح مقتضب عنه :

- كان زوجي يشغل هذا المكان كعيادة قبل ان يحوله الى مسكن مستقل ينزل فيه ضيوفنا . وعندما قرر الاستعانة بطبيب آخر وجدناه المكان الأفضل لسكنه . قد يبدو فارغاً، لكن بامكانك اصفاء أي تعديل داخلي تريه مناسباً .

اجالت جسيكا نظرها في أرجاء قاعة الجلوس تتأمل اثنائها الخشي وكأنها في منزل والديها فأغمضت عينها متممة :

- انا واثقة من اني سأهنا بكل أسباب الراحة هنا .

- هنا هاتف خاص بالسكن، ومنذ اسبوعين أضاف بيتر مكيفاً للهواء للتخفيف من شدة الحر في الصيف . وبما انك ستكونين منعمكة بالعمل

معظم النهار، فستنضمين الى مائدتنا كل ليلة لتشاركينا العشاء .

شكرتها جسيكا بنبرة مهذبة لكن حازمة :

- اشكرك على حسن ضيافتك لكن أفضل تدبير اموري بنفسي .

- حسناً، اعتذارك مقبول شرط ان تتناولي العشاء معنا هذه الليلة .

لم يسمع جسيكا غير القبول فتمتعت بحياء :

- شكراً جزيلاً، انت لطيفة للغاية .

- اتفقنا اذن . والان . . .

احجمت فيفيان عن اكمال عبارتها بعد ان سمعت وقع خطوات في الخارج :

- اعتقد انه بيتر .

بدا وكأن القادم توقف امام المدخل وما لبث ان علا صوته هاتفاً :

- هل انت هنا يا فيفيان؟

ابسمت الزوجة بعد ان عرفت صوت زوجها وتطلعت الى جسيكا بدهاء محببة :

- ادخل يا عزيزي، انا في غرفة الجلوس .

فوجيء بيتر وهو يدخل الغرفة بوجود جسيكا وتسمرت عيناه الزرقاوان فيها لشوان قبل ان يعلق :

- مرحباً (ورمق زوجته بنظرة تساؤل مردفاً) لم أدرك ان الدكتور نيل متزوج .

علت ضحكة فيفيان مقهقهة وتقدمت من زوجها موضحة :

- دعني أقدم لك يا بيتر الدكتورة جسيكا نيل (والتفتت الى ضيفتها)

زوجي الدكتور اوبريان .

تغلبت جسيكا على اضطرابها الناجم عن نظرات الطبيب المذهول ومدت يدها مصافحة :

- كيف حالك يا دكتور اوبريان؟

- اتي . . . يا الهي لم أتوقع أبداً ان . . .

مدت فيفيان يدها بدلال تعبت بشعر زوجها :

- لم أرك يوماً بهذا الارتباك يا عزيزي، انك تهذي كالمحموم .

- في الحقيقة، لقد صعقتني المفاجأة .

حدثه جيكا بنظرة ثابتة وسألت بعتاب:

- هل كوني امرأة يغير من الأمر شيئاً؟

ابتسم الطبيب الى ما سببته تصرفاته للضييفة الجديدة، فهتف قائلاً:

- ابدأ... ابدأ... موهلاتك ممتازة يا دكتورة نيل وهذا جل ما يعني

(وأردف بجديّة) تصرفي هذا عائد الى ظني بأنك رجل ولم يخطر ببالي ابدأ

الاستسلام عن هذا الأمر. أهلا بك في لوزيفيل يا دكتورة وأتمنى لك أطيب

الأوقات وأهناها معنا.

بعثت كلماته في نفسها شعوراً بالارتياح فقالت مبتسمة:

- شكراً يا دكتور اوبريان، انا لا أشك لحظة في ذلك.

تدخلت فيفيان مقترحة:

- حسناً، لنُدع جيكا الآن تأخذ حماماً ساخناً وترتاح من عناء السفر.

اثمانين في مناداتك جيكا؟

- لا مانع البتة.

- سيكون العشاء جاهزاً في تمام الساعة يا عزيزتي، وان أردت اختصار

المسافة الى منزلنا، فإيا عليك سوى سلوك الممر الحجري في وسط الحديقة.

تأبطت فيفيان ذراع زوجها يمان بالخروج، وقبل ان يغادرا الغرفة

التفتت الى جيكا وكأنها تنبّهت الى أمر ما:

- لا تعيري الثياب أهمية بالغة، فالعشاء عندنا يتم عادة في اجواء بسيطة

وعائلية. الى اللقاء.

بقيت جيكا دقائق طويلة في مكانها مستسلمة لشعور عارم بالارتياح،

تلغها الظلمة المخيمة على الغرفة مصحوبة بسحر الهدوء الطاعني. باتت

أكثر اقتناعاً بأنها ستحب عملها الجديد خاصة بعد الاهتمام واللفظ

اللذين أبادهما مضيهاها.

خرجت الى سيارتها تكمل نقل أمتعتها الى الداخل، وما ان فتحت

الصندوق الخلفي حتى رأت امرأة تجتاز الممر مهولة ناحيتها، وعلى ثغرها

ابتسامة عريضة لمعت خلالها أسنانها البيضاء الناصعة:

- مساء الخير يا سيدتي، أدمى كاتي وأعمل لدى السيدة اوبريان. كلفت

بمساعديتك في نقل الحاجيات.

لم تمنع جيكا، فأغراضها كثيرة ويكفيها ما عانته من تعب في طريقها

الى هنا. فتركت الخادمة تهتم بالأغراض وصعدت الى غرفتها فاستحمت

وتعددت على سريرها لفترة قصيرة.

اختارت لزيارة آل اوبريان، ثوباً رقيقاً بسيط الشكل واللون، وانتعلت

صندلاً جلدياً ابيض. ثم صفت شعرها بسرعة امام المرآة وغادرت الغرفة

مرجئة توضيب أمتعتها الى يوم غد.

للمرة الثانية، وجدت نفسها في غرفة الجلوس الأنيقة في منزل آل

اوبريان، انما من غير ان يثير وجودها هذه المرة دهشة الحاضرين.

- هل ترغيبين بكوب من العصير يا جيكا؟

- فكرة لا بأس بها، شكراً يا دكتور.

- أرجوك ناديني بيتر (وناو لها كوباً من عصير البرتقال مردفاً) بما اننا

سنعمل معاً فمن الأفضل رفع الكلفة بيننا منذ الآن.

ابتسمت جيكا موافقة ورشفت قليلاً من العصير:

- أتيت في احدي رسائلك على ذكر طبيب مساعد آخر.

جلس بيتر على كرسي خشبي هزاز في مواجهتها وأجاب:

- اجل، هذا صحيح واسمه دان ترافورد...

تدخلت فيفيان مقاطعة:

- انه شاب عازب وعيبه الوحيد هو سمعته السيئة في لوزيفيل.

- ما هذا القول يا فيفيان؟

نظرت فيفيان الى زوجها مكلمة بهدوء:

- من الأفضل ان نطلع جيكا على حقيقة الرجل الذي ستعمل معه.

- دان طبيب ناجح جداً.

أصغت جيكا الى النقاش الدائر من غير تعليق.

- لا شك في مهارته كطبيب، لكن حياته الشخصية صارت موضوع

أحاديث كل سكان البلدة، وهدفاً لتعليقاتهم واشمئزازهم.

- لا علاقة لنا بحياته الشخصية.

- بيتر، انت تعلم مدى اعجابي بدان. فبالرغم من استهتاره فهو لطيف

وحلو المعشر، شرط ان يتخل عن نظراته التهكمية لبعض الأمور.

- لديه أسباب خاصة ليكون كذلك.

- ليس هذا بيت القصيد يا عزيزي، فأهل البلدة على علم بعلاقته

بالسيدة سامرز وانتقالها خصيصاً من برينوريا لتمضية نهاية الاسبوع معه.

لمعت عينها بيتر بيرينق ماكر وضحك معلقاً:

- سيلفيا سامرز تتمتع بجمال خارق.

ردت الزوجة بعصية ظاهرة:

- طبعاً سترها فاتنة. انا لا أفهمكم انتم معشر الرجال، فأبنة امرأة تبرز

مفاتها وترتدي من الثياب ما قل ودل، تصبح بنظركم آبة في الجمال.

- هل تغارين منها يا فيفيان؟

استمتت الزوجة بدهاء محدقة في عينه الزرقاوين:

- يا عزيزي، كنت أغار لولا يقيني من انك تهيم بي. وأعود فأكرر قولي،

علاقة دان بتلك الوقحة أساءت الى سمعته كطبيب في هذه البلدة، واللوم

يقع عليه وحده.

- بالله عليك يا فيفيان، لقد رسمت صورة قبيحة للمسكين في مخيلة

جسيكا ولما يتقابلا بعد.

التفتت السيدة اوبريان ناحية ضيفتها الصاعقة وقالت بهدوء:

- عزيزتي جسيكا، انسي كل ما قلته عن دان، فهو يتفتح ولا شك

بسحر يسلب لب كل امرأة ويجعلها تشعر بأنها مميزة. والنسوة ينكرن عليه

تصرفاته وبالرغم من ذلك يتدافعن الى عيادته للتعرف عليه. فكوني حذرة

يا حلوتي.

خرجت جسيكا عن صمتها مستفهمة:

- حذرة ممن؟ دكتور ترافورد ام صديقتك الحسنة؟

- من الاثنين معاً، واياك ان تثقي بأبي منها. طبعاً ليست السيدة سامرز

من يشكل خطراً حقيقياً، فهي قد تحدش عينك لا أكثر. بينما الخطر

الأعظم سيأتي من دان، فهو قد يقتلع قلبك من بين ضلوعك وهذا ما

أحشى حدوثه.

أجابت جسيكا بلهجة الواثق من نفسه:

- لا تنسي أتي طيبة يا فيفيان، وعبرتي في الرجال تعود الى أيام

لورا.

- لكنك امرأة أيضاً جذابة وتتمتعين بكل ما يفتح شهية الرجل.

أخفت جسيكا حياءها بضحكة خفيفة معلقة:

- ليت أُمي هنا لتسمع كلامك، فقد دأبت طيلة السنوات الماضية على

تحي هذه الصفة عني.

- لأنها ككل الأمهات، تريد ان ترى ابنتها تنشأ في اجواء كالتي كانت

سائدة في أيامها، تهتم بأنوثتها الى جانب اهتمامها بالأعمال المنزلية.

ولكنك اخترت الطب كمهنة فزادها هذا اقتناعاً بأنك اغفلت كونك امرأة

وأهملت أنوثتك. ألسنت محقة في قولي؟

لم تقو جسيكا على الانكار فهزت رأسها موافقة:

- صحيح ما تقولين.

نهض بيتر واضعاً كوب العصير على الطاولة وهنط:

- عفواً لقطعي عليكما الحديث، لكن عصافير معدتي ترفزق جوعاً.

هزت فيفيان رأسها مازحة:

- عجب امركم ايها الرجال، لا تفكرون سوى بملء بطونكم، فلم

يحطى، من قال «عند البطون تضع العقول».

عند عودتها الى مسكنها، جلست جسيكا على الشرفة الصغيرة المطلة

على الحديقة تفكر في واقعها الجديد. الدكتور اوبريان وزوجته يشكلان

ثنائية لطيفاً وممتعاً للغاية. انما ما يشغل بالها ما سمعته عن الطبيب الآخر

وكيفية تصرفها معه، ستكون قوية وستحاول تجنبه قدر المستطاع.

عادت الى غرفة الجلوس واتصلت بوالديها تطمئنهما عن وصولها بخير،

ثم حضرت فنجاناً من القهوة حملته معها الى غرفتها. لديها عطلة اسبوع

كاملة لتعناد المكان، وترتيبه كما يحلوها، وعليها استغلال بعضها لنيل قسط

وفير من الراحة استعداداً لبداية اسبوع حافلة كما وعدتها الدكتور اوبريان

خلال العشاء.

٢ - حاولت جسيكا اقناع نفسها ان دان ترافورد لا يختلف عن غيره من الرجال. لكنها مضطرة للاعتراف بأنه يتمتع بميزة خاصة، ميزة النفاذ الى القلب بسرعة.

امضت جسيكا عطلة نهاية الاسبوع في توصيب حاجياتها واعادة ترتيب اثاث المنزل بطريقة تتناسب وذوقها. بدأت تستيع فكرة العيش وحدها في مسكنها الصغير القابع على كتف حديقة آل اوبريان الغناء، فهنا ستحقق امنية امها وتكون طيبة وامرأة في آن معاً.

في ساعة مبكرة من صباح الاثنين، اصطحبها بيتر الى المنزل القديم في احدى ضواحي المدينة والذي يشغله كعيادة بعيداً عن الضوضاء والزحمة. اول من التقت كانت الممرضة اميلي هاتسن التي بالرغم من علامات الدهشة الفاضحة التي ارتسمت على وجهها عند تعارفهما، رحبت بها بحرارة متمنية لها التوفيق في عملها، ثم استدارت ناحية الدكتور اوبريان:

- اتصل الدكتور ترافورد منذ دقائق وسيأخر في المجيء الى العيادة.

- هل اعطاك سبباً لذلك؟

- ذهب عند الفجر الى مزرعة آل كرايسون.

- ماذا حصل؟

- رفس ثور هائج احد العاملين في المزرعة، وحالته تتطلب ادخاله

المستشفى لاجراء عملية جراحية مستعجلة.

التقت بيتر نحو جسيكا قائلاً:

- يبدو انك ستمضين اليوم الاول بمفردك يا دكتورة. هل بمقدورك تسير

الأعمال الى حين رجوعي؟

اجابت الطيبة الشابة بهدوء وثقة:

- بكل تأكيد.

- حسناً، ان اردت الاستفسار عن شيء، نادي الأئسة هاتسن وسأكون في المستشفى ان احتجتما الي.

دخلت جسيكا عيادتها بعد رحيل بيتر، تلقي نظرة على محتوياتها وتتفحص خزانة الملفات وأسماء المرضى، حين دخلت عليها الممرضة:

- هل تودين القيام بجولة للتعرف على المكان؟
- ولم لا؟

سارتا في الرواق الأبيض وقد زينت جدرانها لوحات هادئة الألوان والمناظر. توقفت الممرضة امام احدى الغرف قائلة:

- هذه الغرفة تابعة لعيادتك (واشارت باصبعها الى الغرفتين المجاورتين) وهاتان الغرفتان للدكتور اوبريان. وتلك للدكتور ترافورد.
- ولماذا غرفتان؟

ابتسمت الممرضة معلقة:

- لن تطرحي هذا السؤال بعد ان تشاهدي شدة الازدحام هنا.

- ما زلت لا ارى فائدة من وجود غرفتين لكل طبيب.

- وجودهما يتيح لك الكشف على مريضين في آن معاً، تعالي.

عادتا الى عيادة جسيكا، حيث فتحت الأسة هاتسن خزانة صغيرة وأخرجت معطفاً قصيراً ابيض.

- من المؤسف انه ليس مقاسك، فقد كان معداً لرجل.

فتحت جسيكا حقيبتها الجلدية وتناولت سترة بيضاء مطوية بعناية ووضعتها على المقعد خلف مكتبها.

- لا بأس، فقد جلبت سترتي معي.

ابتسمت الممرضة بلطف وعلقت:

- تصرف ذكي من جانبك يا عزيزتي، فهذه السترات الجاهزة لا تعجبني ابداً.

- متى يبدأ المرضى بالتوافد؟

- اعتقد انهم بدأوا لتوهم، فأنا اسمع جلبة في غرفة الانتظار.

- اذن، من الأفضل ان تباشري عملك في الحال ولا تدعيهم ينتظرون.
اليس كذلك؟

- في الحال يا دكتورة.

على المريض من غير ان يبدي اعتراضاً.
استغرق الأمر دقائق قامت جسيكا بعدها لتغسل يديها:

- بإمكانك ارتداء قميصك يا سيد بوشوف.

- ما الأمر يا دكتورة؟

- احتقان في شعبياتك الرئوية، هل تدخن؟

- نعم.

- كم سيكارة يومياً؟

- ادخن... ادخن كثيراً.

اعادت جسيكا السؤال بلهجة أمرة:

- هيا يا سيد بوشوف، كم سيكارة؟

اجاب المزارع بتدبر:

- حوالى الستين على ما اعتقد، ولا تحاولي ان تسأليني التوقف عن

التدخين.

- لن اطلب منك التوقف عن التدخين لكنني سأسألك التقليل منه، أو

التوصل الى تدخين نصف العدد الحالي.

ثم اردفت قبل ان تسمع اعتراضه:

- سأصف لك ذواء وعد الى هنا بعد اسبوع.

تناول المزارع قبعته بسخط واتجه نحو الباب:

- من الأفضل ان ارى الدكتور اوبريان أو الدكتور ترافورد.

ابتمت جسيكا وهي تكتب نوع الدواء على ورقة صغيرة امامها ثم

تمتعت بنهكم:

- كما نشاء يا سيد بوشوف.

علت ضحكة جسيكا بعد خروج المزارع حائقاً من عيادتها، فالتحدي

الخفي بين كونها امرأة وعدم اعتياد المرضى على ذلك ظهر جلياً منذ اليوم

الاول. لكن ضحكاتها هذه لم تدم طويلاً مع دخول المريض التالي.

تهادت جسيكا على مقعدها بعد ان تأكدت ان المرأة التي خرجت لتوها

من الغرفة كانت آخر اسم لديها لهذا الصباح. لقد نالت ما كانت تسعى

اليه منذ فترة وأحست بتغيير في حياتها كطبيبة. كانت على حق عندما

تجاهلت تحذيرات والدها وأقدمت على المجيء الى هذا المكان. افادت من

شرودها عند سماعها وقع خطوات خلفها، فاستدارت لتجد نفسها مرة
اخرى وجهاً لوجه مع دان ترافورد الذي لم يكتف هذه المرة بالوقوف عند
الباب، بل تقدم من مقعدها بقامته الطويلة مسلطاً عليها نظرات وقحة.
ألقت جسيكا نظرة سريعة على الزائر الجذاب من غير ان تحرك ساكناً
ماخوذة بطلته البهية ووجهه الضاحك من غير ابتسام.

حدق دان ترافورد فيها طويلاً ولم يترك مكاناً من جسمها الا وتفحصه.
من شعرها الأشعث حتى حذاءها، مما بعث فيها رجفة خفيفة لم تقو على
اخفائها فتعلمت محرمة كتنهيا بعصبية واضحة. تمتعت بصوت خافت:
- لا لزوم للتعارف بعد ان اسدى الي السيد بوشوف خدمة جللة، اريد
ان اشكرك يا دكتور.

- لا تشكربي فربما احتجت لمساعدتك يوماً ما.

لم تدر جسيكا حقيقة ما يرمي اليه، لكن شعوراً داخلياً ينبها بأن ما
قصده لا يتعلق بالعمل ابداً، فأجابت:

- بما اننا سنعمل معاً في الأشهر القادمة، فاني سأكون مسرورة ان نحن
تعاوننا في العمل.

ارتسمت على ثغره ابتسامة مازحة اثبتت لجسيكا صدق شعورها وقال
معلقاً:

- يسرفي سماع هذا الكلام.

حدقت جسيكا طويلاً في هاتين العينين المسلطتين عليها، تحاول اقتناع
نفسها بأن صاحبها لا يختلف عن غيره من الرجال الذين مروا في حياتها.
لكنها مضطرة للاعتراف بأن دان يتمتع بميزة خاصة لم تعرفها من قبل، ميزة
التغاذي الى القلب بسرعة وقدرته العجيبة على جعلها تحس انها امرأة، اذ ان
كلماته اعادت اليها، في لحظات، شعورها بالأنوثة.

ارتبكت وأشاحت بوجهها نحو النافذة محاولة اخفاء قلق ارتسم فجأة
على عيهاها، ولم يتقدما من هذا الموقف الحرج سوى دخول بيتر اوبريان
الغرفة.

- آه، انت هنا يا دان، اراك قد تعرفت على زميلتنا الجديدة.

رد دان ببرودة من غير ان تطلق عيناه سراح جسيكا:

- اجل لقد تعارفنا.

هتف بيتر موزعاً نظراته بين الاثنين:

- حسناً، هل سارت الأمور على ما يرام هذا الصباح؟
ابتسم الدكتور ترافورد بسخرية قاطعاً على جسيكا فرصة اخبار بيتر بما حدث مع المزارع بوشوف.
- على افضل ما يرام يا بيتر.
التفت بيتر نحو المرضة التي دخلت لتأخذ ملفات المرضى عن طاولة جسيكا:

- هل اتصل احد يا آنسة هانسن؟
- كلا. بإمكانك الذهاب الى المنزل والتمتع بوجبة طعام هانسة.
صفق دان هاتفياً بفرح:
- لم اسمع نياً ساراً كهذا منذ شهور (والتفت الى جسيكا متسائلاً) هل ترافقيني؟

حافظت جسيكا قدر الامكان على هدونها، وأجابت متصنعة البراعة:
- اتعني الى الغداء؟
رد بلهجة هازئة:
- طبعاً الى الغداء يا دكتورة.
اعتذرت بتهديب لكن بحزم:
- اعمال كثيرة علي القيام بها قبل ان يصبح بإمكانني القول اني انتهيت ترتيب المنزل. شكراً على الدعوة.
اجاب دان بلهجة تعكس عدم اكرانه:
- يا للأسف. القاكم بعد الظهر.
خيم صمت طويل على القاعة بعد رحيل دان قطعته المرضة هانسن معلقة:

- اعرف شيئاً واحداً عن الدكتور ترافورد، وهو عدم تخليه عن المحاولة مهما حصل. ربما هذا سبب نجاحه كطبيب.
ضاعت تعابير وجه الدكتور اوبريان بين العبوس والابتسام:
- كلامك يا آنسة هانسن وكلام زوجتي سيجعلان جسيكا تظن اننا نؤوي رجلاً خطراً في عيادتنا.
صاحت المرضة مدافعة عن دان:

- لا، ليس هذا ما قصدته. ليس الدكتور ترافورد من هذا النوع ابداً، انما يملك قوة غريبة تجعل منه شخصاً لا تصده امرأة.

ابتسم بيتر بمكر معلقاً:
- اتعنين انه جذاب للغاية يا آنسة هانسن؟
توردت وجنتا المرضة خجلاً واحتارت كيف تخفي ارتباكها، فصاحت:

- اذهبا لتناول الغداء واتركاني وشأني.
ما كادت جسيكا تنهي غداءها حتى سمعت رنين الهاتف في غرفة الجلوس.

- اعتذر لزعاجك في وقت الغداء، فالدكتور ترافورد غادر العيادة لتوه الى المستشفى والدكتور اوبريان منهك في اجتماع هام للغاية.
التفت جسيكا القلم وسألت بقلق:

- ما الأمر يا آنسة هانسن؟
ردت المرضة موضحة:

- لقد تلقيت مكالمة من اوم هاني دلبرت وهو تاجر مشهور في البلدة، يقول ان زوجته سقطت وتشكو من ألم رهيب.

- ارشدني الى المنزل لامضي حالاً.
- يملكان محلاً ملاصقاً لمكتبة لوغان، ومنزلها يقع خلفه مباشرة.

اعادت جسيكا سماعه الهاتف الى مكانها، ومضت بعد ان تناولت حقيبتها، الى منزل آل دلبرت.
لم تجد صعوبة في اتباع تعليمات المرضة، وفي دقائق كانت تفرع باب المنزل فاستقبلها رجل مرتبك، قدمت له جسيكا نفسها:

- سيد دلبرت، انا الدكتورة نيل.
تحير اوم دلبرت جانباً مفسحاً لها المجال لتمر:
- اهلا يا دكتورة ارجوك اتبعيني.

لحقت جسيكا بسيد المنزل، بقامته النحيلة وعظامه النافرة، الى غرفة النوم.
- جعلتها تستلقي بعد ان غسلت قدميها بالماء الساخن، ولكنه لم يجد في تخفيف المها.

وفي الغرفة المظلمة تمددت امرأة ضخمة الجثة، رمادية الشعر على سرير خشبي قديم تثن بصوت خافت وكأنها تحتضر. وضعت جسيكا حقيبتها على كرسي قريب وتقدمت من المريضة مبتسمة:
- مرحباً يا سيدة دلبورت. انا الدكتورة نيل.
نظرت السيدة بطرف عينيها الى جسيكا وتمتمت بالرغم من انها:
- لا يبدو عليك ذلك، ما زلت يافعة يا صغيرتي.
تقبلت جسيكا كلام العجوز مبتسمة بالرغم من كرهها الشديد لتشبيهها بالطفلة.

- ستمحين لي ان اكشف عليك. اليس كذلك؟
- افعل ما تشائين، لكن ازيل عني هذا الألم المبرح.
هم الرجل بمغادرة الغرفة لكن جسيكا استوقفته وهي تباشر الكشف على العجوز:
- بإمكانك البقاء هنا يا سيد دلبورت.
راحت يداها الصغيرتان تتلمسان بلطف وحذر معدة العجوز تحاول تحديد موضع الألم.

- منذ متى تعانين هذه الآلام يا سيدة دلبورت؟
قاطعتها العجوز بلهجة محبة وهي تعيد ارتداء ملابسها بمعاونة زوجها:
- ارجوك ناديني العمة ماريان. فالكل يناديني بذلك.
وأشارت بسبابتها الى العجوز الجالس على حافة السرير:
- وزوجي يدعى اوم هايني.
- انكيا ثنائي لطيف، اخبريني الآن عن آلامك.
- تتأبني هذه الآلام باستمرار منذ عدة اسابيع، تقوى تارة وتخف تارة اخرى، لكن هذه المرة هي الأسوأ.

وزفرت زفرة طويلة مخففة في اخفاء المها عن الطبيبة الشابة.
- لماذا لم تعرضي نفسك على طبيب؟
- ظننت ان الأمر لا يتعدى عسر هضم بسيط.
ساد صمت ثقيل التقت خلاله عيناها عيني جسيكا:
- ما الأمر يا صغيرتي؟ صارحيني ارجوك.
- لا يمكنني الجزم في الوقت الحاضر، يا عمتي، لكنني اعتقد ان الألم

ناجمة عن حصاة في الكلية.

صاحت العجوز باشمئزاز اضحك جسيكا:

- حصاة؟ ومن اين جاءت هذه الحصاة؟

فتحت جسيكا حقيبتها وشرعت في تحضير حقنة:

- انها تتكون في المثانة يا عمتي، لكنني لن اسهب الآن في تفسير ذلك.
سأعطيك ما يخفف الألم، واطلب منك ان تمضي عدة ايام في المستشفى.
رددت العجوز يذبول عبارة الدكتورة وما ان همت بالاغتراض حتى قلبتها جسيكا على بطنها لتغرز رأس الأبرة في جلدھا.

- اريد ان اصورك بالأشعة، فهذه الطريقة تتأكد من صحة تشخيصي للداء، وبعدها نقرر ما يجب عمله.

- لا يمكنني دخول المستشفى. ماذا سيحدث لهايني خلال مكوثي هناك؟
علا صوت السيد دلبورت للمرة الأولى منذ وصول جسيكا، ورد بلهجة مطمئنة حازمة:

- لا تقلقي علي يا ماريان، سأندبر اموري. لا بأس يا دكتورة، سأدخلها المستشفى في الحال.

- حسناً يا سيد دلبورت، سأقوم بالاجراءات اللازمة.

بعد لحظات قليلة، كانت جسيكا وراء مقود سيارتها البيضاء تواجه مشكلة مضحكة ومزعجة في آن معاً. لقد اخبرتها الأنسة هانسن عن وجود ثلاث ابنة عالية في لويزفيل. الأولى الميكل الحجري والذي تعرفه جسيكا جيداً لوقوعه في الطريق المؤدي الى العبادة، والباقيتان المدرسة الرسمية، والمستشفى وكلاهما بان لجسيكا بوضوح وهي تقود سيارتها في الطريق العام. ولكن الصعوبة تكمن في معرفة اي منها هي المستشفى.

لم يكن امامها وهي الغربية عن البلدة سوى اتباع السهام المغروزة الى جانب الطريق حيناً وسؤال احد المارة حيناً آخر. الى ان وصلت في النهاية الى الباحة الواسعة المحيطة بالمستشفى ودخلت المبنى المجدد والمحاط بأشجار الصنوبر، وتغطي جدرانه نباتات خضراء نضرة. كانت تفكر في حالة السيدة العجوز وصحة تشخيصها للمرض الذي تعاني منه، عندما سمعت صوت دان ترافورد خلفها مباشرة:

- يا للصدفة الرائعة!

أهو حظها العاثر يفرض نفسه اليوم حتى تلتقي الرجل الذي منذ لقائها
الأول يتعمد بجسارة القضاء على رصانتها والتأثير على ثقتها بنفسها؟
أقرب منها مبتساً بسخرية:

- تبتدين وكأنك تائهة، هل تبحتين عن احد؟
- كنت . . . اريد ان اقوم بالاجراءات اللازمة لادخال احد المرضى قبل
المساء، فعليها ان تخضع لصور الأشعة في اسرع وقت ممكن .
- اتبعيني يا دكتورة نيل .
سارت جسيكا خلفه في الرواق المؤدي الى مكاتب الادارة .
- ما اسم المريضة؟
- السيدة دلبورت .

استدار دان ناحيتها وقد ارتفع حاجباه دهشة:
- العمة ماريان، صاحبة البنية الضخمة؟ ما بالها هذه المرة؟
- اعتقد انها البحصنة .

تمتم دان وهو يهم بدفع الباب المؤدي الى مكتب استقبال المرضى:
- هل انت متأكدة من انها البحصنة؟
- كل التأكيد (وأضافت بشيء من التهكم) هل تشك في صحة

تشخيصي يا دكتور ترافورد؟
- لم اشك لحظة في صحة تشخيصك يا دكتورة نيل، لكن، قد يكون
الامر مجرد سوء هضم بسيط .

- اني متأكدة من ان الامر ليس كذلك . الى اللقاء .
دخلت المكتب مقفلة الباب خلفها . لم تلتق قبلاً رجلاً يمثل سماجة دان
ترافورد وتأثيره على مزاجها، فقد كانت فيغيان على حق في وصفها له . لكن

الوقت الآن لا يسمح بانارة مثل هذه الأمور، خاصة وان حياة السيدة
دلبورت مرهونة بسرعة ادخالها المستشفى .
انتمت جسيكا الاجراءات اللازمة . وقبل ان تعود ادراجها الى السيارة،
استرعى انتباهها صوت خطوات سريعة تتبعها، وأحست بقشعريرة باردة
تسري في انحاء جسمها .

- دكتورة نيل .
انه صوته بضحك في انحاء الرواق بنبرة التهكم التي لا تفارق عباراته .

جدت في مكانها واستدارت لتجد دان يسد عليها الطريق بطلته المؤثرة
وقامته المشوقة .

- هل لديك مانع في حمل مجموعة من صور الأشعة وتسليمها لبيتر، فهو
يود الاطلاع عليها؟
- بكل تأكيد يا دكتور ترافورد .

ناولها دان ظرفاً محتوماً معاوداً الكلام:
- بالمناسبة يا دكتورة نيل، ان احتجت الى استشارة ثانية بشأن العمة
ماريانا فانا في خدمتك .

كتمت جسيكا غيظها ونظرت الى محدثها مبتسمة بهدوء مصطنع:
- شكراً على عرضك اللطيف يا دكتور ترافورد، لكنني لا اشك لحظة في
تشخيصي .

لم يقدر دان على كتم ضحكة اطلقتها شفتاه وقال هازئاً:
- آه، كم تعجبني هذه الثقة بالنفس!
- كيف اتوقع من مرضاي ان يمنحوني ثقتهم اذا لم اكن املك الثقة
الكافية بنفسي؟

اجاب محافظاً على نعمة الهزء نفسها التي غشت عباراته حتى الآن:
- صحيح . . . صحيح .
احست نفسها كبركان على وشك قذف حممه، وسألته بجفاء:

- اهناك خدمة اخرى يا دكتور ترافورد؟
- بقي ان تقبلي دعوتي الى العشاء الليلة .
بدا التحدي واضحاً في كلامه، جلياً في نظراته، فاحجمت عن الكلام

لثوان طويلة وكان شللاً اصاب دماغها، لكنها تمالكت نفسها بحجة بهدوء:
- اني واثقة من انك ستجد شخصاً مسلياً اكثر مني تمضي معه وقت
فراغك يا دكتور ترافورد .

هز رأسه موافقاً وقد اغاظه رفضها المتكرر لدعوته:
- لا شك في ذلك يا دكتورة نيل .

غاب دان في نهاية الرواق تاركاً اياها فريسة زويدة هائلة من القلق
والحنق . مرة اخرى تتجنب تحديه وتظهر جيناً، متهربة من دعوته لها .
فحملت افكارها المتعبة الى سيارتها وانجبت الى العيادة لتستقبل من جديد

سيلاً من المرضى. فور دخولها عيادتها، ألقت نظرة سريعة على ملفات المرضى الموضوعة على مكتبها وراحت تدقق فيها قبل المضي في الكشف على أصحابها. استوتفها ملف امرأة في المراحل الأخيرة من حملها تدعى اوليفيا كينغ لها من العمر تسع وعشرون سنة. حازت على اعجاب جسيكا فور ولوجها الغرفة، بقامتها القصيرة وشعرها الحريري الراقص على كتفها. تبادلت الاثنان ابتسامة رقيقة، ونهضت جسيكا عن كرسيها مرحة:

- مساء الخير يا سيدة كينغ، تفضلي بالجلوس.
تهادت السيدة الحامل بثقل على المقعد:
- شكراً يا دكتورة.

- الملف يدل على انك احدى مريضات الدكتور اوبريان.
- هذا صحيح، وفور علمي بأن الطبيب الجديد امرأة، اخبرته بأن افضل عرض نفسي عليك من الآن وصاعداً.
ابتسمت جسيكا بلباقة:
- لم اظن اني سأسمع هذا الكلام من احد مرضاي اليوم.
هضت السيدة بتعجب:
- لماذا؟

- معظم مرضاي يا سيدة كينغ اصيبوا بصدمة عندما علموا بأن امرأة ستقوم بالكشف عليهم. وللمرة الأولى منذ وصولي الى هنا، اجد من يقصد عيادتي لأنني امرأة.
- في الحقيقة، كنت اخشى ان يسبب توجهي الى طبيب آخر اساءة الى بيتر، لكن كونك امرأة اعطاني العذر المناسب.
- عفواً يا سيدة كينغ، لكني لم افهم ما تعنين، لماذا نحتاجين العذر لتبدلي طبيبك؟

ارتسمت ابتسامة رقيقة على شفهي المريضة واردفت شارحة:
- فيفيان زوجة بيتر، هي اخت زوجي، ومن غير اللائق التخلي عن طبيب تربطني به صلة قرابة.
- حسناً، هلا خلعت ثيابك يا سيدة كينغ وارتديت هذا القميص الأبيض، سأعود بعد دقائق لاكشف عليك.

اتجهت جسيكا الى غرفة الطوارئ لاسعاف ولد اصيب بجرح عميق في احد اصابعه، عادت مباشرة الى عيادتها حيث استلقت السيدة كينغ على السرير الجلدي. لم يستغرق الكشف سوى دقائق قالت جسيكا بعده معلقة:

- لم يبق امامك مدة طويلة يا سيدة كينغ.

ابتسمت المريضة تاركة جسيكا تساعد في النهوض:

- انه طفلك الأول، انت متحمسة للفكرة؟

- جداً، حتى انها باتت تؤثر على اعصابي.

- لا حاجة للقلق يا سيدة كينغ.

ضحكت اوليفيا ضحكة رنانة:

- هذا ما قاله لي بيتر، ومع ذلك لم اتخلص من القلق تماماً. ناهزت الثلاثين وسمعت قصصاً كثيرة عما تعانيه المرأة في مثل هذا السن اثناء الولادة الأولى.

جلست جسيكا الى مكتبها تدون بعض الملاحظات ثم التفتت الى مريضتها:

- لا ادري سبباً لشغف بعض الناس في اثاره الآخرين.

- السبب هو وجود اشخاص اغبياء مثلي يصدقون مثل هذه الاخبار.

اريد الطفل مهما كلف الأمر.

- ومستحصلين عليه يا سيدة كينغ.

اغمضت اوليفيا عينيها وأسندت رأسها الى حافة المكتب:

- سيضعني على المنزل جواً من المحبة والالفة، وبه ستوطد علاقتي

بزوجي اكثر فأكثر. لزوجي ابنة صغيرة من زوجته الأولى رحمها الله،

ولكن هذا لم يؤثر على علاقتنا. فهي اكثر من متينة وهذا الطفل يا دكتورة

نيل سيزيدها روعة ومثانة.

- ما اسم ابنة زوجك؟

- فرانسين.

ارتسمت مسحة من القلق على وجه اوليفيا:

- حماسها غير معقول، وهذا احد الاسباب التي تقلقني.

- قلقك في غير محله يا سيدة كينغ، كل شيء سيسير على ما يرام. فأنت

٣- لا تعرف خطواتها التالية وكأنها تسير في
المجهول. تعرف أن الخطر يحرق بها وهي
تشهد الوهن يدب في قدرتها على مواجهة هذا
الرجل الغريب...

في نفس الليلة، توجهت جسيكا بعد العشاء لتعود العمة ماريا في
المستشفى.

كانت العجوز ممددة في الفراش مسندة رأسها الى عدد من الوسادات
الصغيرة، تنتظر السماح لزوجها بزيارتها.
رفعت رأسها مبتسمة لجسيكا وهي تدخل الغرفة:
- أهلاً بعلوّن الصغيرة. ما أسمك الأول يا دكتورة نيل؟
- جسيكا.

- حسناً، اسمعيني يا جسيكا. زال الألم الآن، وأشعر بتحسّن ملموس،
فهل بإمكانك العودة الى المنزل لأبقى مع أوم هايني؟
- لن نبحث هذا الموضوع في الوقت الحاضر، فزوال الألم مرده الى الدواء
الذي وصفته لك. غداً سنقوم بتصويرك على الأشعة.
همهمت العمة العجوز بسخط:

- أعلم الاعبيكم أيها الأطباء، ما ان تضعوا أيديكم على مريض مسكين
مثلي حتى تدخلوه المستشفى، فلا يخرج الا وقد عملت مباحثكم في
جسمه.

وضعت جسيكا أصبعيها على معصم المريضة تتفحص نبضها مبتسمة:
- لن نجري أية عملية جراحية ما لم تكن لصالحك.
- أعلم ذلك يا صغيرتي. وان كنت دائمة التذمر فلأني قلقة على زوجي
العجوز. لقد اشتقت اليه.
- وأنا متأكدة من شوقه اليك أيضاً... أعدك بأن الأمر لن يطول.

شابة مثلي وأنا واثقة من انك تفوقيني قوة وعزماً.
- اشعر بارتياح هائل وأنا اتحدث اليك. وأرجو ان تقومي بزيارتي في
المزرعة قريباً، شرط عدم الكلام في شؤون العمل.
- اشكرك على هذه الدعوة اللطيفة يا سيدة كينغ.
- لتدخل عن الشكليات، ادعى اوليفيا، وكما قالت فيفيان عند قدومي
الى لويزفيل، كلنا عائلة واحدة هنا وهي على حق في ذلك.
- حسناً اتفقنا.

- ارجو ان تستمتعي بالعيش بيننا، فالناس هنا لطفاء جداً.
ونهضت عن مقعدها متابعه:
- والآن علي ان اذهب.

نهضت جسيكا بدورها مذكرة:

- يجب ان اكشف عليك من جديد بعد اسبوع.

- بكل تأكيد. شكراً على هذه الجلسة الرائعة.

- الاستماع الى مرضاي جزء من مهنتي.

- انت لطيفة للغاية. الى اللقاء في الاسبوع المقبل وربما قبل ذلك.

حدقت جسيكا طويلاً في الباب بعد ان اغلقته اوليفيا وراءها، تفكر في

هذه السيدة الفتية صاحبة الوجه الناعم والسحر الذي لا يخفى على احد.

اعجبت ببراءتها وحماسها لان تكون اما، انها النوع الذي يؤثر في الآخرين

منذ الوهلة الأولى، ويترك حضوره عطراً فواحاً لمدة طويلة.

فتح الباب فجأة وأطل دان ترافورد بطلعته البهية، فهتفت العجوز بحبور:

- ها هو الدكتور ترافورد الطيب (ونظرت الى جسيكا مضيفة) اليس جذاباً؟

أجابت جسيكا متلعثمة:

- لا... لا أدري.

علا صوت الدكتور ترافورد بنبرته التهكمية المعهودة وهو يتجه الى جافة السرير المواجهة لجسيكا.

- ما الذي لا تدريه يا دكتورة نيل؟

سبقت جسيكا العجوز الى الاجابة:

- كنا نتناقش أموراً خاصة يا دكتور ترافورد.

هتف دان موزعاً نظراته الساخرة بين جسيكا والعجوز.

- آه، بات لديكما ما تخفيانه عن الآخرين ولم يمضِ على تعارفكما يوم واحد. مستخبريني كل شيء عندما تغادر الدكتورة نيل الغرفة، اليس كذلك يا سيدة دلبرت؟

ردت العجوز بلهجة حازمة خفف من حدتها بريق ضاحك في عينيها:

- لن أخبرك شيئاً أيها الداهية.

تصنع دان الكتابة وامسك بيد العمة ماريا معاتباً:

- أهذه اللهجة تكلمني فتاتي المفضلة؟

ضحكت العمة بمكر:

- من حظك اني لا اصفعك احياناً.

- انك تبييتني يا عمتي العزيزة.

- لم أعهدك حساساً الى هذا الحد يا دان ترافورد. حان لك ان تقلع عن طيشك وتجد لنفسك فتاة طيبة تشاركك مستقبلك.

ارتسمت على شفثيه ابتسامة مأكرة.

- جدي لي فتاة طيبة مثلك يا عمة مازيا وستزوجها في الحال.

- لست بحاجة لمساعدة أحد، استعمل عينيك وعقلك لاجاد الفتاة

المناسبة. ولكنك لن تغلخ في ذلك ما دمت هائماً على وجهك في الاتجاه

الخاطئ.

ادركت جسيكا ما تعنيه العجوز بكلامها وتذكرت ما قالته فيبيان عن علاقة دان.

اطلق الدكتور ترافورد ضحكة قصيرة وأجاب:

- لعلني راض بالطريق الذي اخترته.

لم تجد العجوز فائدة من متابعة الكلام، فقالت مشفقة:

- اذن، اني ارثي لحالك يا عزيزي.

مز دان رأسه بتملل وتطلع في عيني العجوز قائلاً:

- لا ادري لماذا اسمح لك بالتحدث الي بهذه الطريقة.

- لاني عجوز كفاية لتعتبرني كوالدتك، عدا عن اني معجبة بك بالرغم من سوء اخلاقك.

قاطعتها جسيكا مودعة من غير ان تلتفت الى دان:

- سارك غداً يا سيدة دلبرت.

- الى اللقاء يا جسيكا.

رفع دان ذراعه قاطعاً عليها طريق الخروج.

- دقيقة واحدة يا دكتورة نيل.

ترافق دان وجسيكا في الرواق الطويل الفاصل بين الغرف. وقبل وصولها الى المصعد، التفت اليها قائلاً:

- يقدمون قهوة لليلة في هذا المطعم.

- فكرة جيدة، لكن الوقت متأخر وأفضل العودة الى المنزل.

لمعت عينا دان ببريق شيطاني غريب بعث الرعب في قلبها.

- فكرة أخرى جيدة، فأنا واثق من ان قهوتك أفضل من هنا.

ردت جسيكا بحدة:

- لا تفسر كلامي على انه دعوة.

- بل انها الطف دعوة (واقسح لها المجال للخروج من المصعد متابعاً) لقد دعوت نفسي.

توقفت جسيكا عن السير والتفت اليه بانفعال:

- ان كنت تظن اني...

قاطعها دان يهدوء:

- ساتبعك بسيارتي ولا تسرعني، فالقانون صارم في لويزفيل.

لم يكن يوسعها ان ترفض عرضه هذه المرة، فقد أن الاوان لترد له التحدي، وتشعره بقدرتها على مقاومة هزته وسخريته. سئبت له انها لا تنابه وتريه مدى ثقتها بنفسها. جلست خلف مقود سيارتها تراقبه يستقل سيارته الحمراء... ثم ادارت المحرك تتساءل الى أين سيؤدي بها الامر هذه المرة، ان حاول هذا الطبيب الوقع ثمضية بعض الوقت معها للتسلية مستغلاً سفر صديقه الى برينوريا، فسيلقى من الرفض والصد ما يلقنه درساً لن يغرب عن باله أبداً. لن تدع علاقتها به تتعدى حدود المشاركة المهنية. لحق بها في الطريق المؤدي الى منزلها، وبقي خلفها الى ان فتحت الباب واضاءت غرفة الاستقبال.

- اصبح المكان جميلاً للغاية (وتبعها الى المطبخ مضيقاً) هل تعلمين ان بيتر استعمله كعبادة في بداية عمله في لوزيفيل؟
وضعت جسيكا غلاية القهوة على النار بيدين مرغمتين:
- اخبرني فيفيان ذلك.

علق دان بلهجة تقارب السخرية:

- فيفيان. انها غير راضية عني ابداً.

- لا شك انك تعرف السب.

- وانت، هل تعرفينه؟

فوجئت بسؤاله واحترت بماذا تجيب. لقد اوقعت نفسها في مأزق حرج بسبب صراحتها، فتعمدت تغيير الحديث لانقاذ نفسها:

- كيف تحب القهوة؟

- من غير سكر... (واقترب منها وهي تسكب الماء في الفنجان حتى كاد يلامسها) لم تجيبي على سؤالتي.

- حياتك الشخصية لا تهمني يا دكتور ترافورد.

ارتاحت انامله على كتفيها تزحف ببطء الى رقبته مثيرة في جسمها شحنات كهربائية جعلتها ترتعش كعصفور في خضم العاصفة.

- ولم لا يا جسيكا؟

نلفظ باسمها بسهولة ومن غير تكلف هذه المرة، واحست بنبرته تحضنها بدفء وسرعة، لكنها ليست على استعداد للاستسلام اوللانجراف مع تيار جاذبيته أبداً. فاستدارت تقدم له فنجان القهوة والتقت عيناها الضائعتان

بعينه تسألته الرحيل:

- ارجوك يا دكتور ترافورد، اشرب قهوتك وارحل.

بغطرسة مزعجة كانت تتوقعها منه، سألتها:

- لماذا؟

- لاني تعب وأريد ان أوي الى الفراش.

جلس الى الطاولة يرشف قهوته ببرودة قاتلة وكأنه قرر ثمضية ليلته هنا.

- هذا ما سأفعله أيضاً، هل لديك جواب حافق هذه المرة؟

- تعليقك لا يستحق جواباً.

وما كادت تجلس الى الطاولة قبالة حتى علا رنين الهاتف ينقذها من

ارتباكها، فهرعت الى غرفة الجلوس لتعود بعد ثوان معلنة:

- المكالمات لك.

ووقفت قرب باب المطبخ غير قادرة على لجم فضولها، تسترق السمع الى ما يقوله.

- اجل... اجل... ادخلوه غرفة العمليات حالاً وسأوافيكم بأسرع

ما يمكن.

اعاد دان السماع الى مكانها ورجع الى المطبخ:

- لقد بلغ احدهم عظمة دجاجة فعلقت في وسط القصبة الهوائية. هل

تودين مرافقتي؟ انها فرصة لتطلمي على اجراءات الطوارئ في المستشفى.

في دقائق زالت الصورة التي كونتها جسيكا في مخيلتها، حتى الآن، عنه لتحل محلها صورة الطبيب الجاد والمخلص لمهنته، واحترت كيف تفسر هذه الازدواجية في الشخصية وسرعته في التكيف مع الظروف، فأومات برأسها موافقة وتناولت مفاتيح سيارتها وتبعته بهدوء الى الخارج.

بعد قليل كانت جسيكا تقف في غرفة العمليات تراقبه باعجاب يعمل بتأن ومهارة على سحب العظمة الصغيرة. نجاحه كطبيب جراح استحوذ على احترام معارفه واعجابهم، فتفاضى معظمهم عن عيوبه الاخلاقية.

بقي دان في المستشفى تحسباً لما قد يطرأ على صحة مريضه، بينما طلب من جسيكا العودة الى المنزل، فاطاعته من غير اعتراض، تريد بوضع حد لهذا اليوم الطويل والمليء بالمشاكل والمفاجآت.

علقت جسيكا صور الأشعة أمام الشاشة المضاءة أمامها، وتراجعت قليلاً لتفحصها بهدوء. بدا واضحاً ان شيئاً ما يسد القناة الصفراوية ويوشك ان يهدد المثانة نفسها. وضعت يديها في جيبي سترتها البيضاء تحديق في الصور مستعيدة قول العمة ماريانا لها.

وما ان تضعوا أيديكم على مريض مسكين مثلي حتى تدخلوه المستشفى فلا يخرج الا وقد عملت مباحثكم في جسمه.

ارتسمت على عيائها امارات الغم، فالحالة تتطلب اجراء عملية سريعة والعجوز الطيبة كانت مصيبة في حدسها.

انفقت جسيكا من شرودها شبه مدعورة على صوت دان ترافورد هاتفياً خلفها مباشرة:

- مساء الخير.

ليست المرة الأولى التي يسئل فيها الى مكان تواجدها ويفاجئها بهذه الطريقة.

كادت ان تصرخ بوجهه عليه يقلع عن هذه العادة الوقحة، لكنه كان مشغولاً بالنظر الى صور الأشعة فلم يولِ انفعالها اي اهتمام.

- هل هذه صور العمة ماريانا؟

اومات برأسها متمتعة:

- أجل.

- أريد ان اهتلك على دقتك في التشخيص.

لم تحمل عباراته أية تهينة بل نغمة من هزئه البغيض، لكنها تغاضت عن قصده وقالت بيرودة:

- شكراً يا دكتور ترافورد.

- هل تريدبني ان اجري العملية؟

- اني واثقة من قدرتي على اجرائها. وان كنت تشك في قدرتي فلا امانع في ان تعاونني.

- ولا مانع عندي أيضاً. متى ستطلعينيها على الأمر؟

اطفأت جسيكا ضوء الشاشة وأعادت الصور الى مكانها.

- سأعودها الآن وأخبرها عن موعد العملية مع علمي ان الأمر لن يروقها.

- انها تثرت كثيراً، لكنها امرأة حساسة جداً وعاطفية أكثر من اللازم. لاحظت ذلك، لكن لا مناص من اجراء العملية بسبب خطورة اتسداد المثانة. أليس كذلك؟

- بكل تأكيد. لا تنسي ان تطلعي على المستجدات.

- سأفعل ذلك.

بعد دقائق كانت جسيكا تقف قرب العمة ماريانا تطلعها على قرارها باجراء العملية وموضحة لها أهميتها ومخاطر تأجيلها، فلم تبد العجوز تأييداً للفكرة لكنها، وكما توقع دان علقت بحبرة على أمرها:

- ان كان لا بد من اجراء العملية يا صغيرتي، فمن البلاهة ان اعترض. ولكن أريد أن اعرف... موعد اجرائها.

- في أسرع وقت ممكن. ربما غداً اذا افلحت في حجز غرفة العمليات، موافقة، فاسراعنا في اجرائها يعني الاسراع في عودتي الى المنزل. أليس كذلك يا صغيرتي؟

لم تجب جسيكا مستسلمة لسكوت ثقيل ترك بصماته في اتجاه الغرفة، ومعدقة في باقة الزهر قرب سرير العجوز.

أوضحت العمة مبتسمة:

- جلبتها اوليفيا هذا الصباح.

- اوليفيا كينغ؟

اومات العجوز ايجاباً واغمضت عينيها تستعيد صفحة من الماضي القريب.

- انها امرأة رائعة. لم تشهد هذه المدينة يوماً زاهياً كيوم زفاف اوليفيا وبرنارد كينغ.

- أكان احتفالاً كبيراً؟

شبت العجوز يديها فوق صدرها هاتفية:

- يا صغيرتي. في ذلك اليوم بلغ عدد المدعوين المئات حتى ضافت بهم قاعة البلدية. وساعة الزفاف فاق عدد الذين في الخارج الموجودين في القاعة. دمعت عيون الجميع حين دخلت اوليفيا القاعة متأبطة ذراع بيتر اورريان.

ارادت جسيكا ان تصرف العمة ماريانا عن التذكير بالعملية الجراحية،

فسألته متعمدة الاهتمام:

- يبدو انك تكنين محبة خاصة لأوليفيا.

- علاقتي بها تعود الى ما قبل زواجها من برنارد. كانت تملك مكتبة وتقطن في شقة فوقها. لكن الامور تبدلت اليوم واصبحت الشقة جزء من المكتبة. مضى على معرفتي بها ثلاث سنوات وكانها البارحة، فأنا ما زلت اذكر اليوم الذي وصلت فيه أوليفيا الى لوزيفيل، بقامتها النخيلة ونظراتها الضائعة.

- لقد طلبت مني الاشراف على ولادتها.

- أخيرتني بذلك، عندما رأيتك للمرة الأولى ذكرتني بها. فانتما تشابهان قامة ونحافة.

- وهل هناك أفضل من الجسم النحيل يا عمتي؟

غشت مسحة من القلق وجه العجوز وتمتمت بتأفف:

- حتى الاطباء أحياناً يهتمون بالاهتمام بصحتهم. لماذا لم تتزوجي حتى الآن يا جسيكا؟

- لم أجد الوقت الكافي للتفكير بالزواج.

- عذر اقبح من ذنب. الوقت متوافر دائماً للتفكير بالزواج.

- هذا صحيح، شرط وجود الشخص المناسب.

- وما ادراك انك لم تجديه؟

- اعتقد اني سأعلم بذلك فور حصوله.

- هنا يكمن خطؤك يا حلوتي. احياناً تلتقين رجلاً ما وتعتقدين انه لا يناسبك ابداً، لكن عندما تزداد معرفتك به تكتشفين انه في النهاية رجل احلامك.

بدأ النقاش يغوص في امور شخصية لا تحب جسيكا الخوض فيها الآن، وذكرها كلام العجوز بوالدتها يوم كانت تكلمها عن الزواج والرجال، فقالت بتململ:

- سأختار الزوج الذي يشاركني الميول والاهواء نفسها.

- أتعتين شخصاً مثل دان ترافورد؟

انتفضت جسيكا كمن لسعته أفعى:

- أرجو الا يكون مثله ابداً.

دافعت العجوز عن دان قائلة:

- سيكون زوجاً صالحاً ان صادف الفتاة المناسبة.

- لا أظن اني هذه الفتاة المناسبة. والان اقترح ان تخلدي للراحة قبل

ان يجين موعد زيارة اوم هايني.

للمرة الاولى منذ سنوات احست جسيكا بتورده وجنتيتها وهي في طريقها الى الخارج. فنظرات رفاق العمه ماريان من المرضى تابعتها حتى الباب وكأنهم سمعوا كل ما دار بينها وبين مريضتها العجوز. أبعد أن يصيح دان ترافورد زوجاً مثالياً؟ أبداً. وضحكت في سرها مستعيدة عبارات العمه عنه.

كيف يكون رجل يمثل سمعته زوجاً صالحاً وهل يتخل عن مطاردة النساء وهو الذي يعتبر العلاقة بين الرجل والمرأة مقصورة على الهوى العابر؟ انها متأكدة من انها ستفق مع سمكري أكثر من اتفاقها مع هذا الطبيب المهاتر.

لم تسنح الفرصة لجسيكا في فترة ما بعد الظهر للتفكير اكثر بحديثها مع العمه ماريان. لكنها ما ان عادت الى منزلها تلك الليلة، حتى عادت كلمات العجوز عن دان ترافورد تضح في رأسها بالرغم من ان العملية الجراحية التي ستجرىها للعمه في الصباح الباكر تشغل حيزاً كبيراً من بالها. سيعاونها دان غداً وهي على يقين من انه لن يتوانى عن انتقادها كلما سئمت له الفرصة لذلك.

كانت جسيكا صائبة في مخاوفها من معاونة دان لها، فها ان التقت عيونها في غرفة العمليات حتى احست بالارتباك. نظراته الباردة تحمل السخرية والاستخفاف. وقف قبالتها حول جسم العمه ماريان، بقناعه الابيض، فحاولت جسيكا قدر المستطاع تجاهل وجوده معها، لكنه ليس من الذين يسهل تحنّبهم. شعرت وكأنها ما زالت طالبة في معهد الطب، وتقوم باجراء العملية الاولى تحت مراقبة استاذها، فزال الشعور بالثقة الذي خالجهما قبلاً واغمضت عينيها عليها تستعيد ثباتها ولم تتحرك الا لدى سماعها صوت المباسع وعربة آلة ضغط الدم.

استعادت بعضاً من الراحة فور تناوّلها الموضع من يد الممرضة وبديتها العملية. لم تعد تهتم لوجوده معها، ولا تبايى بنظراته المسلطة على يدها.

هما ان تتم العملية بنجاح، وثبت له انها لا تقل كفاءة عنه كطبية.
خرج الاثنان من غرفة العمليات وتوجها معا الى الكافتيريا لتناول
فنان من الشاي.

- كانت عملية ناجحة جداً يا دكتور نيل.

نظرت اليه تدقق في بريق عينيه. لم يهزأ منها هذه المرة بل بدا جاداً
وعفواً، لكن رصاته لم تدم طويلاً بل اردف بشيء من التهكم القاتل:
- ولا يسعني سوى أن ائوه بثقو الطيبات على الاطباء في عملية
التقطيب، فالعملية لا تعدى الحياطة العادية بالنسبة اليهن.

لم تستلم لهزئه البارد وقررت المجابهة:

- أهذه طريقتك للتعبير عن عدم رضاك؟

رفع دان حاجبيه بخفي ابتسامة اوشكت ان تفضح حشفة قصده:

- لا يمكننا تجاهل بعض النقاط الجيدة، أليس كذلك؟

ابتسمت جسيكا بلؤم:

- شكراً يا دكتور ترافورد على هذا التشجيع اللطيف.

- ما أريد قوله يا دكتور نيل ان هناك فارقاً بين الطبيب والطبية في اجراء
العملية. فالطبيب يتجاهل من يكون المريض المملد في غرفة العمليات،
اما بالنسبة للطبية فالحالة تختلف تماماً. هذا لا يعني ان المرأة فشلت في ان
تكون طيبة او جراحة ناجحة، لكنها من غير ان تشعر تقحم عاطفتها في
عملها مما يؤثر على تشخيصها وأحياناً كثيرة على نتيجة الجراحة.

- أعتقد ذلك؟

- بل اعرفه تمام المعرفة. كنت تتألمين وانت تعملين مبضعك في جسم

العمة ماريا.

- كلامك عن المرأة في حقل الطب غير صحيح، لكني اعترف بكراهيتي
للجوء الى المبضع عند انتفاء الضرورة الملحة. عرفت حالات كثيرة فقد
اصحابها اجزاء من اجسامهم ارضاء لنزوات مبضع الجراح.

- لن اخوض في هذا الموضوع الآن، ما يهمني هو قدراتك كطبية
جراحة فقط.

- أعتقد انك ستلقي علي محاضرة حول كيفية اجراء عملية جراحية،

أليس كذلك؟

- كلا، فلا مأخذ على مهارتك الفنية في اجرائها.

ابتسمت ببرودة تحاول اخفاء نبرة الحنق في صوتها:

- حقاً؟

- حالتك العاطفية اثناء اجراء العملية هي التي تقلقني.

- أظن اننا ندور في حلقة مفرغة. تصرفاتي خلال العملية عاطفية جداً،

اهذا ما تود قوله؟

- تماماً.

وقفت جسيكا معلنة انتهاء المحادثة ورمقت بنظرة ناقبة:

- لا اوافقك الرأي يا دكتور ترافورد، فانا في النهاية امرأة ولا اعتقد انه

بمقدوري تغيير ذلك.

- هذا ما لن أسألك فعله أبداً، فانا معجب بانوثك يا دكتور نيل.

فعلت فيها نعومة عبارته فعلها السحري وأحست بقشعريرة لذيذة

تسري في جسمها، فنبعث فيه الفرح وتررع في انحائه شعوراً اخاذاً لم تحسه

منذ زمن. التفتت اليه بعد تردد وليتها لم تفعل، فالبريق الغريب لم يهجر

عينيه الرماديتين ابداً.

امها عينا دان ترافورد، الرجل الخبير بالنساء وكيفية اشعال النار في

اجسامهن، ولا بد انه يدرك كل الادراك ما تفعله الآن كلماتها فيها.

قالت بصوت خافت يرزح تحت ثقل انفعالها:

- سألتي نظرة اخيرة على العمة ماريا قبل ان اطمئن اوم هايبي.

وقف دان في طريقها مستوضحاً بنبرة تحبب تلويب بفعلها القلوب

الرقيقة:

- أتضايقك نظرتي اليك كامرأة بدلاً من طيبة يا جسيكا؟

أذكت نبرته النار في وجنتيها من جديد.

- لا ابداً يا دكتور ترافورد، فهذا من شأنه ان يسعد والدي عندما تعلم

ان ابتها لم تفقد كل انوثتها بالرغم من اختيارها الطب مهنة لها.

مد يده بخفة تاركاً انامله تطوق معصمها قبل ان تتمكن من التحرك:

- امحيتي فرصة لاأبث لك بأي قدر من الانوثة تتمتعين.

تخلصت جسيكا من قبضته وتراجعت بضع خطوات محاولة اخفاء

اضطرابها المتزايد واجابت بهدوء شبه مصطنع:

- لا أشك لحظة في قدرتك، لكني لست راغبة في اكتشاف ذلك.
توجهت إلى جناح العمة بوجه عابس يزرع تحت تأثير جلستها مع دان،
لن تكون أبدا المرأة التي ستلعب ذلك الدور في حياة هذا الطبيب المخادع.
كانت واثقة من قدرتها التامة على كبت مشاعرها والتحكم بعواطفها، لكن
هذه المرة وبطريقة لم تعهدها من قبل تمكن دان من إضعاف هذه القدرة
لديها. سئزم جانب الحذر منه في المستقبل، وتتجنب قدر استطاعتها
الاختلاط به بالرغم من استحالة هذا الأمر لاضطرارها للعمل إلى جانبه.
في بداية أسبوعها الثاني في لوزيفيل، جلست جسيكا في عيادتها تأهب
لاستقبال مرضاها، حين دخل عليها جايمس بوشوف حاملا قبعته المعهودة
بيديه الخشتين.

نجحت جسيكا في منع نفسها من الابتسام وقالت مرحبة:

- أهلاً يا سيد بوشوف، أظنك تود رؤية الدكتور اوبريان اوتراפורد.

أجاب المزارع بصوت خافت:

- آه... جئت لأخبرك ان الدواء الذي وصفته لي كان ناجعاً جداً، ولم
أعد أكثر من التدخين كالسابق.

- يسرني سماع هذا يا سيد بوشوف:

سكت المزارع للحظات ثم قال:

- السيدة دلبورت تتحدث عنك باستمرار وعن معاملتك الرائعة لها.

لقد طرأ تحسن كبير على صحتها.

ادركت جسيكا ان العجوز تقوم بحملة دعائية لها في لوزيفيل.

- انها سيدة ممتازة.

- هل تريدان معاينتي الآن؟

ضحكت جسيكا في سرها لما لاحظته من تبدل في تصرفات هذا المزارع

الفظ.

لم تدم المعاينة طويلاً، نزعته بعدها جسيكا السماعة الطبية ووضعتها

على الطاولة.

فسألها جايمس بوشوف مستوضحاً:

- ألت أفضل حالاً من المرة السابقة؟

- نعم هناك تحسن في صحتك، لكن عليك ان تثابر على تناول الدواء

بصورة منتظمة ولا تنس ان تقلل من التدخين الى ادنى حد.

- شكراً يا دكتورة، هل اعود للمعاينة مرة اخرى؟

- اذا لم يطرأ تحسن على حالتك والا، فلا حاجة لذلك.

- حسناً، الى اللقاء.

اغلقت جسيكا الباب خلفه، وعادت الى مكتبها تعيد توضيب الملفات

المتناثرة هنا وهناك.

- يبدو ان المزارع المعتوه لقي صعوبة في الابتعاد عن لمسائك الخنونة.

التفت جسيكا ناحية مصدر الصوت، لتفاجأ بدان وقد اصبح في وسط

الغرفة يتقدم منها بعضلاته المفتولة، وقامته التي تطفح رجولة وجاذبية من

تحت ردايه الابيض. وجوده في مكتبها يربكها، فنظرتها اليه تتغير يوماً بعد

يوم... لم تعد نظرة تحد بل نظرة ضعف واضطراب امام هاتين العينين

المسلطتين عليها ببريقهما التهكمي الوقح.

- اظن ان السيد بوشوف اكتشف في النهاية اني لست طبيبة فاشلة.

- لو كنت جايمس، لما كانت مهارتك الطبية السبب الوحيد لعودتي.

تهضت جسيكا عن مقعدها بحمجة بنيرة حادة:

- لقد حان موعد عودتي الى المنزل.

ترجع دان نحو الباب معترضاً طريقها:

- ليس بهذه السرعة، فقد تلقينا غمارة عن اصابة احد العمال في مزرعة

مجاورة، وارتأى بيتر ان ننقل معاً الى هناك لتعذر نقل المريض المصاب في

عموده الفقري. انها فرصة لك لتتعرفي على المزارع.

تبخر حلمها بقضاء ليلة هانئة في منزلها، فخلعت ثوبها الابيض وتناولت

الحقيبة الطبية:

- حسناً، هلا ذهبنا يا دكتور تراפורد؟

- سنذهب في سيارتي.

بعد فترة قصيرة، كانت سيارة دان تشق طريقها بين غابات كثيفة من

القصب تلقي بظلالها على الممر الرملي الضيق. جلست صامتة ترقب

غروب الشمس وتنصت الى شرح دان عن المزارع وحالة مالكها والعمال

فيها.

- يعتبر برنارد كينغ شقيق فيفيان من أغنى المزارعين في هذه المنطقة،

وتقع مزرعته الى الشمال من لوزفيل. غناه يفوق كل مزرعة اخرى.
الناس يلقبونه هنا بملك القطعان.

لم تيسر جسيكا بينت شفة. كانت تفكر في فيفيان وأولدها، ودمهما
مخروطتان في وقوعهما على شخصين مثل برنارد وبيتر. سلكت السيارة
طريقاً جانبية وعرة، انتهت الى فسحة رملية امام مزرعة صغيرة تمهدها في
ساحتها جمع من العمال، تقدم اقدمهم من السيارة فور توقفها وأخبرها ان
احد العمال سقط عن سطح الاسطبل اثناء نقله أكياس العلف.
سارع دان الى اجراء الاسعافات الأولية قبل حلول الظلام، تعاونه
جسيكا والتفت اليها قائلاً:

- انا بحاجة الى سيارة اسعاف. اتصلني بالمستشفى وأعلمهم بحالة
المصاب.

اجرت جسيكا المكالمة من منزل صاحب المزرعة... اصابة العامل
بالغة لكننا لن نعرف مدى خطورتها الا بعد اخذ صور اشعة له.
تشخيصها الفوري اظهر ان الصدمة أثرت على عموده الفقري وربما
أتلقت احد الاعصاب الاساسية فيه.

عندما عادت الى قرب دان، ادركت من نظراته الى العامل انه يشاظرها
رايتها في حالته الصحية. فجلست قربه تهديء ووع الرجل الطريح ريشاً
تصل النجدة.

بدأ الظلام يرخي ستاره على المكان عندما وصلت سيارة الاسعاف
خارقة السكون المخيم على المزرعة بدوي منيها، مطلقه اشارات صوتية
متلاحقة، فتفرق العمال مضحين في المجال للمسعفين لنقل المصاب الى
داخل السيارة، بينما أعاد دان الآلات الطبية الى حقيبت.

- هل بإمكانك قيادة السيارة، فسأضطر لمرافقة العامل في سيارة
الاسعاف؟

- أظن ذلك.

ناولها دان علاقة مفاتيحه:

- سألتك في المستشفى اذن.

صعد الى داخل سيارة الاسعاف ووقفت جسيكا برهة ترقب غياب
أضواء السيارة المسرعة عن ناظرها. ثم استقلت سيارة دان متوجهة

الى المستشفى.

اوقفت السيارة في الموقف المخصص للأطباء. وانجهدت بسرعة الى غرفة
الطوارئ حيث التقت دان، فبادرته مستهمة:

- كيف حاله؟

مرر دان يده على شعره الداكن مطلقاً زفرة طويلة.

- انه في غرفة الأشعة.

- ما رأيك في الاصابة؟

- لا أريد ان اتسرع في اعطاء الرأي لكنني اعتقد انه مع قليل من الحظ
والرعاية سيستعيد عافيته في وقت قريب.

- من حظه انهم لم يعملوا على نقله قبل وصولنا.

- ستأخر نتيجة الأشعة بعض الوقت، هل تشاركتيني فنجاناً من
القهوة؟

- سأقبل دعوتك هذه المرة.

أمسك دان بيدها معلقاً بسخرية:

- كنت متأكداً من موافقتك.

سارت الى جانيه غير واثقة من صواب عملها، فهي لا تعلم شيئاً عن
خطورتها التالية وكأنها تسير في المجهول. جل ما تدركه هو الخطر المحلق بها
وهي تشهد الوهن يذب في قدرتها على التحكم بعواطفها وشعورها نحو
هذا الرجل الغريب السائر بقربها.

٤- لا شك انه لاحظ انهيار مقاومتها لنظراته
الوقحة. كيف يقدر على اثاره اعصابها
واللعب بأحاسيسها! عليها ان تسرع في
التصرف قبل ان يفوت الأوان...

جلست جسيكا في مقهى المستشفى ترشف على مهل فنجان القهوة
مستمعة الى عبارات دان المجبولة بنبرة الهزة المعتادة:
- ان لم تخفي الذاكرة فنحن لم نستطع اكمال قهوتنا في جلستنا الأخيرة
هنا.

لا شعورياً ضحكت جسيكا معلقة:

- قد يتكرر الأمر الآن، فلتتمن ان نهي قهوتنا قبل حدوث أي طارئ.
- اني اشاركك هذه الأمنية.

فوجئت جسيكا بمسحة القلق التي غشت عينيه وهو يجتسي قهوته ولكنها
احجمت عن الخوض في موضوع قد لا تكون لها علاقة به.

- ما الذي دفعك الى اختيار الطب مهنة لك يا جسيكا؟

- أظنه نفس السبب الذي يدفع أي شخص الى ذلك.

- من جهتي، لدي أسباب كثيرة قد لا تكون كلها وجيهة (وعلا وجهه

تجههم مفاجيء) قررت ان اكون طبيباً بعد ان قتل والداي على يد اراهابيين
في احدى مزارع زيمبابواي. لو كنت ملماً حينها بالأمور الطبية كما انا اليوم،

لربما تمكنت من انقاذ حياتها (قدم لها سيكارته ولما اعتذرت شاكرة اشعل
واحدة مردفاً) كنت قد اخترت الصبلة لكن تلك الحادثة حولتني الى

الطب.

أحست جسيكا برغبة جامحة لمشاركته هذه الذكرى الحزينة لكنها لم تكن
واثقة من ان مواساتها ستلقى قبولاً منه في هذه اللحظة.

- لا شك ان تلك الحادثة وقعت أبان الحرب الأهلية في زيمبابواي.

ابنسم دان فجأة وقال بدهاء:

- ان كنت تحاولين معرفة عمري فسافر عليك مشقة ذلك، أنا في
الخامسة والثلاثين.

- لم أقصد...

لم بدعها تكمل عبارتها وملتق في عينيها بجسارة توردت بفعلها
وجتاها:

- لا، بل قصدت. والآن، بعد ان عرفت سبب اختياري الطب
اخبريني عن أسابك.

أحست جسيكا بجفاف في حلقها، فرشفت قهوتها قبل ان تجيب:
- لا اذكر ابدأ اني تمنيت مهنة أخرى.

- أتعتبين انك لم تفكري في مهنة أخرى قد تناسبك أكثر؟

امتعتت عن اطلاعه على دور والدها وتأثيره عليها في اختيار مهنة
الطب، فأصفت عينيها بحميمة:

- لا أظن ان هناك مهنة أخرى تناسبني أكثر من الطب.

عندما نظرت اليه من جديد فوجئت ببريق ينبعث من عينيه لم تستطع
تحديد معناه.

- هناك مهنة أخرى كانت لتناسبك أكثر في هذه الفترة من حياتك، ولا
تحتاجين فيها الى شهادة جامعية.

راقبته وهو يطفىء سيكارته وعلقت بجفاء:

- أخالك سنعصي قدماً في ملاحظاتك حتى ولو اظهرت لك عدم
اهتمامي.

التفت عيونها للمحطات، وأحست بنظراته تخترق جلدها الرقيق
لتغوص في داخلها وتسنم في صدرها الصغير.

ابنسم لها من غير ان يرفع نظره عن صدرها معلقاً:

- ما يناسبك الآن هو علاقة حميمة.

اجابت جسيكا بنبرة ساخرة:

- علاقة حميمة معك على ما اعتقد، أليس كذلك؟

- يسعدني كثيراً ان تمنحيني هذه الفرصة الرائعة.

- أتقصد اني مجيرة على ذلك؟

- يؤسفني ان تسمي الحكم علي يا جسيكا.

- ويؤسفني اني هدرت وقتي في الاستماع اليك.

علا صوت المذيع في احدى زوايا القاعة مطالباً الدكتور ترافورد بالتوجه حالاً الى غرفة الاشعة.

هرول الاثنان في المر الفسيح المؤدي الى الغرفة، ولدى وصولها الى الباب امسك دان بيدها قائلاً:

- خسارة ان لا تتمكن من انهاء هذه الحادثة المثيرة.

لم تحب مكتفية بسحب يدها بعنف من بين انامله، ودخلت الغرفة على عجل.

أكدت الصور ظنونها بحالة العامل المصاب، فبادر دان الى اعطاء التعليمات للممرضات، ثم اختل بجسيكا لثوان يتناقشان الامر:

- اعرف طبيباً مختصاً بجراحة الاعصاب في لويس ترينارد وسأستشيره في الصباح.

اوقف دان سيارته في ساعة متأخرة من الليل قرب سيارة جسيكا، واستدار ناحيتها بعينه اللامعتين:

- تصبحين على خير يا جسيكا، هل لي ان اتمنى لك ليلة هانئة في سربك الموحش؟

اجابت جسيكا موضحة بلهجة صارمة:

- لا اجد سربري موحشاً ابداً يا دكتور ترافورد، وأنا بكل صراحة من الذين يفضلون النوم وحدهم.

- لكنك بعملك هذا تضيعين فرصة مثيرة للغاية يا دكتورة نيل.

ترجلت جسيكا من السيارة حاملة حقيبتها:

- هذه وجهة نظرك ولكن الامر لا يضايقني ابداً.

- ستغيرين رأيك في المستقبل القريب.

- لا اعتقد ذلك. على كل حال طبت مساء وشكراً على ابصالي الى هنا.

لم تكن وانفة من جوابها وترأى لها دان وهي تدبر محرك سيارتها، ضاحكاً يسخر من عبارتها ويمني نفسه بنيل مأربه منها واصفاة اسمها الى لائحة ضحاياه من النساء. لا شك في انه لاحظ ضعفها وسرعة انهيار مقاومتها

لنظراته الوقحة. لم تصدف شخصاً مثله في حياتها، قادراً على اثاره اعصابها واللعب باحاسيسها. انه في نظرها طبيب ماهر، لكنه يجمع الى جانب مهارته في الطب اجادته فنون اغواء النساء، وزاد من غطرسته انه يعرف تمام المعرفة مدى تأثيره عليها وجعلها تعجب به كرجل أكثر منه كطبيب. اقلقها استنتاجها هذا، وبعث اكتشافها حقيقة احساسها في نفسها خوفاً، وتصمياً على الاسراع في التصرف قبل ان يفوت الاوان.

ثلاثة اسابيع مضت، تمكنت جسيكا خلالها من زيادة معرفتها للوزير قبل وتوثيق علاقتها بسكانها. وبدأت تعتمد نمط عملها، والتغلب على الحالات الطارئة التي ما برحت تصادفها منذ وصولها، والتي ساهمت في نحو الرتبة التي رافقت عملها في جوهانسبرغ.

مشكلة وحيدة لم تقو على ايجاد حل لها: دان ترافورد، فهو لم يبأس ابداً من محاولة اغرائها وايقاعها في شبكه.

حتى الآن لم يقم بخطوة خاطئة تجاهها، لكنها كانت متأكدة من انه سيفعل عاجلاً ام اجلاً.

غادرت جسيكا عيادتها متوجهة الى المرآب بعد نهار حافل بالمرضى وبالعيانات، واستقلت سيارتها ثمني نفسها بقضاء ليلة هانئة تلجأ فيها الى كتاب جيد تدفن تعبها وارهاقها بين صفحاته.

لكنها ما ان أوقفت سيارتها أمام مسكنها، حتى شاهدت فيبيان تهرول في اتجاهها وعلامات القلق والغم على وجهها.

لم تعط جسيكا فرصة للسؤال بل جلست في السيارة قائلة بارتباك:

- الامر يتعلق باوليفيا، سارشدك الى منزلها في ماونتين فيو وأشرح لك الامر في الطريق.

سارعت جسيكا الى ادارة محرك سيارتها من جديد وأقلعت بها بسرعة.

لقد تأخرت اوليفيا عن موعد ولادتها عشرين يوماً ولا بد وان الانتظار قد أثر على اعصابها.

بادرت فيبيان الى شرح ما حصل لاوليفيا وهما يسلكان الطريق المؤدي الى المزرعة:

- طلبت اوليفيا من فرانسين ان تتصل بك، لكن الفتاة المسكينة اصيبت بالدعر عندما اخبروها انك غادرت عيادتك، فاتصلت بي. ولسوء حظها لم

يكن برنارد في المنزل فقد خرج للصيد، ولا تعتقد اوليفيا انه سيعود باكراً.
هذا كل ما استطاعت الصغيرة اخباري به، اضافة الى ان اوليفيا ارسلت في طلبك على جناح السرعة الى المزرعة.

التفتت جسيكا الى مرافقتها المضطربة تسألها:
- اما زال المكان بعيداً؟

- مسافة خمسة كيلو مترات تقريباً.

في نهاية الطريق الترابية الوعرة بدا منزل اوليفيا في الجهة الاخرى، قابلاً بين اشجار السرو وقد بانث شرفاته ذات اللون الابيض تظل على السهل الاصفر الفسيح كحبة لؤلؤ تزين جيد حسناء سمراء.

ما ان اوقفت جسيكا السيارة في ظل احدى الاشجار، حتى فتح الباب الرئيسي وخرجت منه فتاة لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها، مهرولة ناحية فيفيان وشعرها الكستنائي يطير على كتفها. وارتمت في احضانها هاتفة بتأثر:

- عمي فيفيان، كم انا سعيدة لقدومك.

- لا تقلقي يا عزيزتي، هذه الدكتورورة نيل وكل شيء سيكون على ما يرام. اخرجي يا حبيبي الى الشرفة وانتظري والدك.

قطبت فرانسيس حاجبها معترضة:

- لكنني اريد مساعدة امي.

تقدمت جسيكا من الصغيرة وغمرتها بحنان:

- اعدك يا فرانسيس بان انا اناديك اذا احتجت لاية مساعدة.

ابتسمت الصغيرة بحياء واجابت راضحة:

- حسناً، كما تشائين يا دكتورورة نيل.

في غرفة النوم الكبيرة بدت اوليفيا شاحبة الوجه وقد تمددت على السرير من غير حراك لكنها ما ان سمعت الباب يفتح حتى فتحت عينها، وارتمت على شفيتها ابتسامة ارتياح ورضى، وتمتمت بصوت منخفض ترحب بالقادمتين:

- تسرتي رؤيتكما الى جانبي. لم أقو على التحرك من مكاني والا لكنت وفرت عليكما مشقة القدوم الى هنا.

صاحت فيفيان بهلج:

- اياك والتحرك، قد تعرضين نفسك والجنين لخطر محتم.
وضعت جسيكا حقيبتها على الارض وجلست بالقرب من اوليفيا مستوضحة:

- متى أحست بالآلم؟

- ساكون صريحة معك. شعرت بالآلم في الصباح لكنني حسبته تشنجاً في المعدة كالعادة. وعندما زال ايفنت من اني كنت مصيبة في ظني ولا شيء يدعو للقلق. لكن الآلم عاودني منذ اكثر من نصف ساعة و...

عاودتها نوبة الآلم مجدداً فلم تكمل عبارتها. فوضعت جسيكا يدها على جبينها تهديء من روعها:

- استرخي ولا تقلقي وتنفسي بهدوء وعمق.

انتظرت جسيكا زوال الآلم وياشرت في معاينة مريضتها، لكنها ما ان انتهت من ذلك حتى عاد الوجع أشد وأقوى.

هتفت فيفيان باضطراب:

- يا الهي. ماذا سنفعل يا جسيكا؟

فتحت الدكتورورة نيل حقيبتها تتفحص محتوياتها واجابت بهدوء كلي:

- اعتقد ان الولادة ستم في هذه الغرفة.

جحظت عينا فيفيان وصاحت برعب:

- تقولين ذلك وكان الأمر سيحصل بعد لحظات.

- ستحصل الولادة قريباً لكن اماننا متسعاً من الوقت لاجراء الترتيبات الضرورية.

اصدرت جسيكا تعليماتها بثقة وهدوء مما بعث الطمأنينة في نفس فيفيان:

- الى برعاء من الماء الساخن وبعض المناديل النظيفة وأعملي على ابقاء الصغيرة خارجاً. لن يستغرق الأمر اكثر من نصف ساعة.

جلست جسيكا الى جانب اوليفيا تمسح جبينها المتصبب عرقاً:

- لا تخافي يا عزيزتي، كل شيء يسير بصورة طبيعية.

أغمضت الحامل عينها متأوهة وقد ازداد شحوب وجهها.

- يا الهي. ليت برنارد هنا.

اجابت فيفيان وهي تضع وعاء الماء الساخن قرب السرير:

- لو عرف ماذا يحدث لطار الى هنا ليكون بفرك في هذه اللحظة، فانت تعلمين مقدار حبه لك.

عاودتها نوبة الالم مرة أخرى فامسكت بغطاء السرير تشده بين يديها:
- أجل... أجل أعلم ذلك. وجوده الى جانبي يريحني، ويعملني أشعر بالامان.

سجت فيفيان على ركبتيها عند حافة السرير ومدت يديها الى اوليفيا:
- امسكي بيدي يا عزيزتي واتركي الباقي لجسيكا.
وضعت اوليفيا مولوداً صيباً كامل النمو، عملت جسيكا على لفه ووضعته قرب اوليفيا، بينما اهتمت فيفيان بتنظيف المكان. بعد قليل وصلت فرانسين، ووقفت عند الباب تسأل بارتباك:

- لقد سمعت صراخ طفل، هل بإمكانك رؤيته والاطمئنان على امي؟
ضممتها فيفيان الى صدرها هاتفة:
- بكل تأكيد يا حبيبي.

هرعت الطفلة الى امها تقبل وجنتيها ثم حدثت بالمولود الجديد طويلاً وقالت:

- انه صغير جداً، هل سينمو يا اماء؟
أشرق وجه اوليفيا بعد شحوب وهي تغمر ابتها:
- سينمو يا عزيزتي حتى يصبح في مثل قامتك يوماً ما.
ضربت الطفلة كفاً بكف وكانها تذكرت شيئاً والتفت ناحية جسيكا وفيفيان هاتفة:

- حضرت ايفيلينا القهوة ووضعتها في غرفة الجلوس. سابقي مع امي الى حين عودتكما.

ترددت فيفيان في الذهاب لكن جسيكا رنت على كتفها موافقة:
- فنجان كبير من القهوة هو أفضل ما نحتاجه الآن.

جلست الاثنتان في غرفة الجلوس ترششان القهوة بهدوء وارتياح، فالعشرون دقيقة التي استغرقتها عملية الولادة كانت صعبة على الجميع. رفعت فيفيان رأسها تجمل النظر في ارجاء القاعة وقالت بتأثر:

- لقد ترعرعت في هذه المزرعة وفي هذا المنزل بالذات، وشهدت حيوانات كثيرة تلد وفي كل مرة كنت اخرج مندهشة. اليوم عندما شاهدت

ولادة الطفل شعرت بفراغ في حياتي واكتشفت ان أحل مرحلة من مراحل الزواج قد فاتتني.

بدا التأثير على وجه جسيكا واحتارت بما نجيب، فالالم الساكن في عمي محدثها أكبر من ان يزيله سؤال او تخفف منه مواسة.

بدا الظلام يدب في اتحاء المزرعة مبشراً بهبوط الليل، وخيم سكون ثقيل على غرفة اوليفيا حيث جلست جسيكا وحيدة تراقب الأم وطفلها. فجأة علا هدير شاحنة في الخارج وسرعان ما تهادى الى مسمع جسيكا وقع خطوات سريعة في الرواق المؤدي الى الغرفة، وصوت رجل يسأل باضطراب:

- أين هي؟ أين اوليفيا؟

طمأنته فيفيان بنبوة هادئة:

- انها في غرفتها يا برنارد، ولا شيء يدعو للقلق.

صعد برنارد كينغ السلام المؤدية الى غرفة النوم وهو يلعبن الصيد والصيداين بصوت عال مما حمل جسيكا واوليفيا على تبادل نظرات ضاحكة قبل ان يفتح الباب بقوة. وقف برنارد عند الباب بقامته الطويلة وشعره الاسود وقد خططه الشيب، متجهم الوجه يوزع نظراته النارية المضطربة بين زوجته وجسيكا. فجأة علا صراخ الطفل فتبدلت سحنة الأب وغاب الحنق والقلق من عينيه فمسح وجهه بيده وكأنه لا يصدق ما تراه عيناه. وتقدم من زوجته وجنا قرب السرير يغمرها والطفل بحنان هامساً بتأثر:
- اوليفيا؟

التفتت جسيكا الى فيفيان فرأتها مأخوذة بذلك اللقاء المؤثر تحديق في العائلة الصغيرة، بعينين دامعتين وابسامة حزينة وتشاركهم احساساً لم يراود قلبها من قبل.

نظرت اوليفيا الى جسيكا وقد امسكت بيد زوجها:

- أرجو العذرة يا جسيكا، اقدم لك زوجي برنارد (وتطلعت الى برنارد مردفة) انها الدكتور جسيكا نيل.

هب الزوج السعيد واقفاً ومد يده مصافحاً جسيكا بحرارة وقوة.
- معرفتك تشرفني يا دكتورة، وشكراً على مساعدتك لاوليفيا.

- لا شكر على الواجب.

تطلعت اوليفيا الى زوجها سائلة :

- ان تحمل طفلك يا برنارد؟

ثلاثة ازواج من العيون راقبت برنارد وهو يقترب من السرير الصغير وينحني ليحمل الطفل الغارق في لفته القطنية يغط في نوم عميق.

هتف الاب مازحاً:

- يا له من طفل بشع.

جارته اوليفيا في مزاحه:

- هذا شيء طبيعي، فهو يشبه والده تماماً.

علت ضحكة برنارد مدوية، وجلس من جديد قرب زوجته:

- اني استحق جواباً كهذا. اليس كذلك؟

اجابت فيفيان مبتسمة:

- بكل تأكيد (ونظرت الى جسيكا توضب اغراضها في الخفية تنهياً

للرحيل واردفت) لقد اتصل بيتر وسيوافينا بعد قليل وطلب مني ان امنعك

من مغادرة المزرعة قبل تناول العشاء.

همت جسيكا بالاعتذار:

- اني مضطرة...

لكن اوليفيا قاطعتها بلطف:

- ارجوك البقاء يا جسيكا.

لم تقو على مقاومة نبرة التحجب في عبارة اوليفيا فأومات برأسها موافقة.

جلس الجميع ما عدا اوليفيا الى طاولة العشاء في جو من المودة، افتقدته

جسيكا منذ مغادرتها جوهانسبرغ، يستمعون الى فرانسيس تعيد عليهم ما

حدث خلال غياب والدها عن المنزل. وحدها جسيكا لاحظت مدى تأثير

فيفيان وهي تصغي بشغف الى الطفلة وتمسح بين الحين والآخر دموعها.

احتارت كيف تفسر احجام هذه المرأة عن الانجاب بالرغم من ولعها

الشديد بالاطفال. لا بد من وجود سبب وستسعى الى اكتشافه بطريقة او

بأخرى.

اشارت عقارب الساعة الى الثامنة، فنهضت جسيكا عن كرسيها

معتذرة وتوجهت الى غرفة اوليفيا لتودعها فوجدتها ما زالت مستلقية في

فراشها والابتسامة لم تفارق شفتيها.

- كيف حال الام الصغيرة؟

- جسيكا... لم تسنح لي الفرصة لاشكرك.

همت الدكتورة بنيرة حنونة ممررة يدها على رأس مريضتها:

- لم أقم سوى بواجب الصداقة يا عزيزتي.

- بل اكثر من ذلك بكثير. لا ادري ما كنت سأفعل لولاك.

- عليك بالراحة عدة ايام حتى تستعيدي نشاطك، فكما اعتقد لست

بحاجة لمستشفى. سأزورك يوماً للاطمئنان عنك وعن الطفل. ماذا

تسمينه يا اوليفيا؟

- لم نقرر بعد.

علا صوت برنارد قرب الباب:

- لدي الاسم المناسب له.

- يا لك من جاسوس يا حبيبي. ما هو الاسم الذي اخترته؟

- لم اجد أفضل من لوغان اسماً له.

علت الدهشة وجه الزوجة بينما التفت برنارد الى جسيكا موضحاً:

- انه اسم عائلة اوليفيا قبل الزواج.

- انه اسم جميل ويليق بهذا «السيدة» النائم هنا. حسناً يا لوغان سارك

غداً.

التفت جسيكا اثناء خروجها بيتر اوبريان في غرفة الجلوس فنهض

مودعاً:

- سأرافقك الى السيارة يا جسيكا.

وما ان صارا في الخارج حتى سالها باهتمام:

- هل تمت الولادة على ما يرام؟ هل من مضاعفات؟

- لا ابداً.

بدا الارتياح على وجه الطبيب فهتف:

- عظيم. انت تعلمين ان اوليفيا ما زالت فتية، واعترف اني لم أتوقع لها

ولادة طبيعية ولكن... عندما يتعلق الأمر باحد الاقارب، اجد نفسي في

حالة يرثى لها من القلق والاضطراب. انها احدي نقاط ضعفي على ما

اعتقد.

- هذا شيء طبيعي يا دكتور. ارجو ان تكرر شكري ليفيان وفرانسيس

فقد ساعدتني كثيراً.

- وصلت جسيكا الى منزلها بعد التاسعة بقليل، وما ان همت بالاستحمام حتى رن الهاتف وتهادى صوت دان ترافورد بوضوح معاتباً:
- حاولت الاتصال بك طوال السهرة. أين كنت؟
- احست بخفقات قلبها تتسارع واجابت بطريقة عفوية:
- كنت في مزرعة آل كينغ، فالسيدة كينغ وضعت مولوداً بعد الظهر.
- أتعنين ان الطفل ولد في المزرعة؟
- أجل.
- لم يتمالك دان نفسه عن الصراخ:
- ولماذا لم تنتقل الى المستشفى؟
- لم يكن هذا ممكناً، فزوجها خرج للصيد منذ الصباح.
- كان بإمكانك تدبير سيارة اسعاف لنقلها الى المستشفى.
- لم يكن لدي الوقت الكافي.
- سألها بنبرة حانقة:
- ماذا تعنين بالوقت الكافي؟
- ردت جسيكا ببرودة مقصودة:
- كانت اوليفيا على وشك الوضع حين وصلت المزرعة.
- ليس هذا سبباً مقنعاً يا دكتورة نيل. أتعلمين نوع المضاعفات التي قد تحصل في حالات مماثلة؟
- أعلم، لكن...
- اذن، لماذا لم تعمدي الى ادخالها المستشفى؟
- جاهدت جسيكا في السيطرة على نفسها:
- لاني اخذت بعين الاعتبار يا دكتور ترافورد ان مريضتي ستفضل الاستلقاء في سريرها على التمدد في صندوق سيارة الاسعاف وهي تلد طفلها.
- علق بلهجة ساخرة:
- كلام مقنع. يبدو انك تحملين في حقيبتك غرفة للطوارئ. تدخلين اليها المريض عند الضرورة.
- لا حاجة للهزة الآن.

- يا الهي. انا لا اهزأ منك.

- ماذا تفعل اذن؟ اتقصد اني عاجزة عن معالجة الحالات الطارئة؟
- وكيف أعلم ان كنت قادرة أم لا؟
- حسناً، اقترح ان تحتفظ بأرائك لنفسك يا دكتور ترافورد الى ان تتأكد من مقدرتي.
- لا تسيئي فهمي يا جسيكا. اردت ان ابين لك استحالة التغلب على اية مضاعفات عند عدم وجود الآلات المناسبة.
- اعترفت في قرارة نفسها بصواب كلامه. لكنه لو كان محلها وعابن اوليفيا، لوافقها على ان تطلب سيارة اسعاف لم يكن ضرورياً.
- فعلت ما ظننته الأفضل لاوليفيا.
- كنت أتوقع تعليلاً كهذا من امرأة.
- ماذا تعني يا دكتور ترافورد؟
- من المعلوم ان النساء يتجرفن وراء العاطفة عند اتخاذ قراراتهن، وانت خير اثبات على ذلك.
- لا علاقة للعاطفة بقراري يا دكتور ترافورد (احست انها تكاد تفقد السيطرة على نفسها) هل هناك ما تضيفه يا دكتور ترافورد؟
- أجل، لكنني سأحفظ به.
- اقفلت الخط بيدين تترتبان سخطاً واضطراباً، وهنفت بأعلى صوتها:
- لعنة الله على الرجال.
- احست باحتقان مؤلم في عينيها، وبرغبة جامحة في البكاء.
- لم تمنأ جسيكا بالراحة طوال الليل. تلقت بعد منتصف الليل مخابرة من المستشفى تدعوها بسرعة الى غرفة الطوارئ، ولم تعد الى منزلها الا عند الفجر. فاستحمت وبدلت ثيابها ثم جلست على الشرفة ترقب شروق الشمس وتتناول فطوراً خفيفاً.
- حاولت قبل توجيهها الى العيادة اخفاء علامات الاعياء على وجهها بالتبرج والاكتثار من المساحيق، لكن ما ان صادفت المرضة هانسن حتى بادرتا الاخيرة مستوضحة:
- ييلو انك قضيت ليلة رهية، ويؤسفني ان اخبرك ان الصباح لن يكون أفضل حالاً. الدكتور اوسريان توجه الى المستشفى، والدكتور ترافورد

منحك في معاینات خارجية، مما يعني انك مسؤولة عن المكان باكملة
الآن، خاصة ان غرفة الانتظار تعج بالمرضى.

ارتدت جسيكا سترتها البيضاء متصنعة الابتسام:

- اذن، هلا ارسلت المريض الاول يا آنسة هانسن؟

كانت بداية النهار متعبة للغاية، وبدا وكأن عدد المرضى لن ينتهي ابداً.
لم تصادفها حالات مرضية كالتي تراها ولا سبق لها ان كشفت على مثل هذا
العدد من المرضى اثناء عملها مع والدها. ولسوء حظها، ما ان كادت
تسهي من معاينة الدفعة الأخيرة حتى وصلت حافلة كبيرة مزدحمة بمرضى
من منطقة فنلدا المجاورة. نزلت جسيكا لاستقبالهم محدة في تلك الوجوه
السوداء المحيطة بها تتهاشم فيما بينها، وتذكرت قول أحد المحاضرين في
كلية الطب عن ان الطبيب قد يصادف أياماً يتمنى فيها لو يملك أكثر من
يدين اثنتين. والآن هي في أمس الحاجة الى تحقيق هذه الأمنية؛ فعاتت الى
عيادتها تحمل اللائحة الجديدة وتنتهي مرة أخرى لمعاودة العمل بينما تولت
الآنسة هانسن أمر تنظيم دخول المرضى الجدد. ودعت الممرضة المريض
الأخير ودخلت غرفة جسيكا لتجدها وقد أسندت رأسها الى حافة مكتبها
تأخذ قسطاً من الراحة.

- مر عليك صباح رهيب يا دكتورة نيل، هل تصورين كيف كانت
الحالة قبل قدومك؟

رفعت جسيكا رأسها ونظرت الى الممرضة مبتسمة:

- أقر بأن تعبتي لكنني راضية عن ذلك. هذا هو نوع العمل الذي طالما
نشدته، النوع الذي يتعبك ويريحك في آن معاً. لو راني والدي في تلك
الحالة لطار صوابه.

- ألم يجذ والدك اختيارك مهنة الطب؟

- بلى، لكنه لا يوافقني على طريقة ممارستها.

لم يبد على الممرضة انها فهمت، ولم تتكبد جسيكا عناء التفسير بل
خلعت سترتها ووصفت شعرها بيديها قائلة:

- اعتقد اني سأستغل فترة الغداء لأعود أوليفيا كينغ وطفلها في المزرعة.

بعدها سأكون في المستشفى ان احتجت الي.

تطلعت الآنسة هانسن بشفقة الى وجه جسيكا الشاحب وهزت

رأسها معاتبية:

- الاطباء ينصحون مرضاهم بعدم امل صحتهم والاهتمام بطعامهم
ولكن نادراً ما يعملون هم بهذه النصيحة.

هزت جسيكا كتفها وغادرت عيادتها تقود السيارة على مهل الى مزرعة

آل كينغ، فامامها متسع من الوقت قبل ان يجين موعد رجوعها الى

المستشفى. فكرت بفيفيان، فأمرها ما برح يشغل بالها منذ ان أفضت لها

بمكونات صدرها. وخطرت لها فكرة قد تنجح في التخفيف من مشاكل

هذه المرأة الطيبة، لكنها قبل ان تمضي قدماً في تنفيذها، مستحاول التقرب

منها قدر الامكان، وأوليفيا كينغ هي الشخص الوحيد القادر على ذلك.

٥ - تعلم انها ستندم غداً على ما تفعله الآن
وستكره نفسها كلما فكرت به . لكنها في هذه
اللحظة ملكه وملك هذا الاحساس الرائع
والكلمات الدافئة التي يهمس بها . . .

لم يكن في المزرعة عند وصول جسيكا سوى ربة المنزل والخادمة،
فتوجهت مباشرة الى الطابق العلوي حيث كانت اوليفيا ترضع طفلها في
غرفة النوم.

- كيف حال الام وطفلها اليوم؟ دعيني التقي نظرة على الصغير ثم
انتظر في غرفة الجلوس.

استغرقت المعايبة دقائق معدودة طمأنت بعدها الام وخرجت تنادي
الخادمة كي تحضر القهوة. لقد اعجبت بأوليفيا منذ زيارتها الاولى للعيادة.
وجدت فيها الوجه الآخر لشخصيتها، الوجه الذي اضطرتها الظروف لبره
من حياتها والظهور دائماً بمظهر الطيبة الجادة والرصينة. تود لو تسترجع
بعضاً منه قبل ان يقوت الأوان.

اكثر ما شدها الى اوليفيا، ذكاؤها وسعة اطلاعها، اضافة الى حبها
للحياة والمرح. انها مثال المرأة التي لا تترك فرصة الا وتغتتمها لتضيف الى
حياتها مزيداً من الهناء والسعادة.

واقت اوليفيا ضيفتها الى غرفة الجلوس مرحبة، وسكبت لنفسها فنجاناً
من القهوة.

- عادتني فيفيان هذا الصباح واقترحت ان نحمم لوغان. وما ان انتهت
تخصير ما يلزمها حتى فوجئت بالخادمة وقد سبقتها الى ذلك.
وجدت جسيكا الفرصة سانحة لتعرف المزيد عن فيفيان فقالت متمعدة
البساطة:

- يبدو انها مولعة بالأطفال الى حد بعيد.

- انها تعشق فرانسيس، ومن الواضح ان لوغان بدأ يحظى بحبها ايضاً.
لم يسبق ان اتت على ذكر هذا الموضوع، لكن برنارد اخبرني انها عرضت
نفسها على اكثر من اخصائي مشهور قبل ان تقتنع بأنها عاقر.

- وهل فكرت بالثبي؟

- لا يمكنني الاجابة على هذا السؤال، لكن فيفيان من الذين يسلمون
بالأمر الواقع.

- لا يبدو انك مقتنعة بما نقولين.

- هذا صحيح، فأنا اعتقد انها تخفي في داخلها رغبة جامحة للحصول
على طفل. لكن برنارد ينتمي الى عائلة عريقة ومحافظة سترفض فكرة
الثبي، وهذا ما جعل فيفيان تصرف النظر عنها متظاهرة بعدم الاكتراث.

سكنت جسيكا لثوان ثم تمتعت:

- هكذا اذن.

- ماذا يدور في خلدك يا جسيكا؟

تطلعت الى عيني محدثتها الهادئين مبتسمة:

- عندي فكرة جيدة، اذا نجحت . . .

- من الأفضل ان تخبريني عنها.

وضعت الدكتوراة نيل فنجان القهوة الفارغ على الطاولة على مهل وكأنها
تختار عباراتها:

- في دار الايتام في جوهانسبرغ فناة نعيسة تناهز العاشرة من عمرها،

نجت في حادث سيارة قضى فيه والداها. تعرفت اليها حين كانت في

المستشفى قيد المعالجة، توطدت علاقتنا بعد ان عرفت ان لا اقارب لها،

ووعدها منذ ايام بأن اجلبها الى هنا لتمضية عطلتها المدرسية معي.

- اظن اني بدأت اعني ما ترمين اليه يا جسيكا. ان احبت فيفيان الفتاة

فقد تبقيا معها.

- ميجان لاي طفلة رائعة، وكل من صادفها احبها. انها تتعلق بالناس

بسهولة وتحتاج الى من يهبها حبه وحنانه.

- صدقيني يا جسيكا، انني لك النجاح في مسعاك.

- هل امضي قدماً في خطتي واجلب ميجان الى هنا لقضاء العطلة؟

فاق حماس اوليفيا حماس محدثتها، فهتفت:

- بكل تأكيد، فكلمنا اسرعنا في المحاولة كلما اسرعنا في معرفة النتيجة.
- يسرني ان اناقش هذه القضية معك يا اوليفيا.
- هذا يسعدني كثيراً. ولن اطلع احداً على الامر وخاصة فيفيان، لانها
ان اشتبهت بشيء، ستكون عواقب محاولتنا وخيمة على الجميع.
وقفت جسيكا مودعة:

- حسناً، سنبقي الامر سراً بيننا، الى اللقاء يا عزيزتي.
بعد يومين، تمكنت جسيكا من الاتصال بالمسؤولة عن دار الايتام
والحصول على اذن لميجان لتمضية عطلتها المدرسية بمعينتها في لوزيفيل، ولم
يبق الا ان تتصل بوالدها ليتدبر امر انتقال الطفلة بالقطار من جوهانسبرغ.
يسير كل شيء على احسن ما يرام وستدخل الفرحة الى قلب هذه الفتاة
التعيسة، وتزرع الأمل من جديد في دار آل اوبريان.
كانت في عيادتها عندما دخل عليها دان ترافورد ليفاجأ بامارات الفرحة
تعلو وجهها.

- ما هذه السمة الحلوة التي تزين وجهك؟ هل ستطعنيني على السبب
ام هي احد اسرارك الدفينة؟
ظلت على كرسيها خلف مكتبها تحديق به مذهولة كمعادتها في كل مرة
يفاجئها بزيارته.

- نجحت في محاولتي لجلب فتاة يتيمة لتمضية العطلة معي.
- هل كانت احدي مرضاك؟
- تقريباً.

- هذا يثبت صحة كلامي عن تورط الطبييات عاطفياً مع مرضاهن.
دفعت كرسيها الى الوراء ونهضت محافظة على مسافة كافية بينها وبينه،
بعد ان تقدم وجلس الى حافة مكتبها:
- انا لا اهتم بحالة مرضاي الجسمية فحسب، بل بحالتهم النفسية
ايضاً، ولا يسبب لي اعترافي بهذا الاهتمام أي خجل.
- من الطبيعي ان يصدر هذا الكلام عن امرأة.
- لا عجب في ذلك. فانا امرأة.

اكتشفت انها تسرعت في جوابها، فعيناه الشرهتان بدأتا تتفحصانها
بوقاحة نجحت مراراً في بعث الاضطراب بجسمها.

- بدأت الاحظ ذلك منذ مدة.

تفوه بعبارته ومضى قبل ان تتمكن من الرد. تركها فريسة احاسيس
غريبة مزعجة، فراحت توضب اغراضها في الحقيبة بيدين مرتجفتين قبل ان
تودع الممرضة هانسن وتعود الى المنزل.

لم تشعر بالارتياح الا بعد ان اتصلت بوالدها في المساء وحصلت منه على وعد
بالاهتمام بميجان لاي، وحجز مقعد لها في اول قطار قادم الى لوزيفيل.
- سنزورك في عطلة الاسبوع ونناقش الامر معاً بكل تفاصيله، سنصل
ليل الجمعة ونعود صباح الاثنين.

هتفت جسيكا فرحة:

- يا له من نبأ رائع يا ابي!

- هل يتسع منزلك لنا؟

- اجل ففي المنزل غرفة للضيوف.

- حسناً، هذا سيريح بال والدتك، فانت تعلمين كراهيتها للفنادق.
وسكت الوالد وكأنه يتنظر منها ان تقول شيئاً، ولما طال صمتها اردف:
- على كل حال، سيكون لنا حديث طويل معك. الى اللقاء.

اعادت جسيكا السماع الى مكانها ولازمت مقعدها من غير حراك.
كلمات ابيها بعثت في نفسها قلقاً واكتئاباً، وستجد صعوبة بالغة في اقناع
والديها بانها مرتاحة في عملها هنا، ولكنها لن تعدم وسيلة لتحقيق ذلك.
ستمضي بقية النهار هنا للمرة الاولى منذ وقت طويل، فتحضر غداءها
ثم تصعد الى غرفتها لتستلقي وتطلع على المجلات المكدمسة قرب سريرها.
لكن ما ان اخرجت قطعة اللحم من الثلاجة حتى دخل دان ترافورد
غرفة الجلوس من غير استئذان وتوجه مباشرة الى المطبخ قائلاً بجديبة:
- اتركني كل شيء واتبعيني، انها حالة طارئة.

اعادت اللحم الى مكانه من غير تردد:

- سأجلب حقبيتي.

هتف محافظاً على لهجته الآمرة:

- دعيتها، فلدي كل ما قد نحتاجه.

اطاعته من غير سؤال وأغلقت باب المنزل خلفها. لكنها لم تتمكن من
لجم فضولها وقتاً اطول، فما ان جلست قربه في السيارة حتى سألته بقلق:

- ما الأمر؟ ماذا حصل؟

- ليس مهماً ما حدث بل ماذا سيحدث.

- اخافتها عبارته فاستوضحت مجدداً بنبرة متقطعة:

- ماذا تقصد بما سيحدث؟

- هلا سكت لأنك من الاهتداء الى الطريق الصحيح؟

قاد دان السيارة بأقصى سرعة ممكنة، وما ان شارف حدود المدينة حتى انعطفت يميناً وسلك طريقاً فرعية تفضي الى منزل قديم قابع على هضبة صغيرة، تحيط به مساحات شاسعة من الغابات.

لقيت جسيكا صعوبة في تحديد موقع المكان بسبب الظلمة، وكل ما تمكنت من ملاحظته كان ملعباً لكرة المضرب وحوضاً للسباحة. بدا واضحاً ان المنزل قد أعيد ترميمه حديثاً، والأنوار الثلاثة في المر المرؤدي الى مدخله لا توحى بقرب وقوع كارثة.

فتح دان الباب الخشبي الكبير من غير ان يقرع الجرس، ووجدت نفسها بعد لحظات في قاعة واسعة تدلت في وسطها ثريا هائلة الحجم انعكست انوارها على البلاط الرخامي.

- اهلاً بك في منزلي يا جسيكا.

التفتت اليه بعينين جاحظتين وقيت صامتة لثوان غير قادرة على تقبل الواقع الجديد. ثم سأله ببرودة لتتأكد من صحة ما سمعته:

- اهذا منزلك؟

- اجل.

- هل بإمكانك السؤال عن الحالة الطارئة؟

- انك تنظرين اليها، فأنا لم اتمكن من تناول العشاء وحيداً الليلة.

- اشتعلت عيناها ببريق غاضب وهتفت بمرارة:

- قد خدعتني اذن.

- وهل كنت ستلين الدعوة من تلقاء نفسك؟

- كلا بكل تأكيد.

- على كل حال، انت هنا الآن.

- تمت لو تصفعه لكن يديها المرعجتين لم تساعداهما:

- انت مجنون.

اطلق ضحكة قصيرة معلقاً:

- اعتقد ذلك.

- ارجعني الى منزلي في الحال.

- سأعيدك الى المنزل بعد تناول العشاء.

- اذن سأعود سيراً على الأقدام.

- امسرع دان الى الباب بمنعها من الوصول الى المفتاح:

- المسافة طويلة الى منزلك، عدا عن ان الطريق مخوفة بالخطر بالنسبة الى فتاة وحيدة.

- جاهدت في مقاومة نظراته الوقحة المسلطة عليها بجسارة لم تعدها من

قبل:

- لا احفل بذلك. لا يحق لك جلبي الى هنا بهذه الوسيلة الخادعة، وان

كنت ترفض ابصالي الى منزلي فسأقدم ...

قاطعها بحدة:

- جسيكا، هل انت خائفة مني؟

- اشاحت بوجهها بعيداً عن نظراته الثاقبة.

- لا تكن سخيفاً.

- اذن تناولي العشاء معي.

- كادت عزميتها تحور امام جاذبيته الساحرة، لكنها اهملت نداء شعورها

رافضة الاستسلام لعاطفتها:

- من حقني ان اختار الشخص الذي امضي معه اوقات فراغي، ولم

اخترك انت.

- لم اتوقع سماع هذا الكلام منك يا جسيكا.

- لست بحالة تسمح لي بقول شيء آخر.

- رفع وجهها بأحد انامله فارضاً عليها مواجهة عينيه الساحرتين:

- لا اطلب منك سوى مشاركتي العشاء، وبعدها سأكون رهن اشارتك

لاوصلك الى منزلك ساعة تشارين.

- لم يسبق ان اقترب منها الى هذا الحد، فتسارعت خفقات قلبها وشعرت

وكأن الأرض تميد تحتها. لكنها تفضل الموت على ان تدعه يدرك حقيقة

مشاعرها.

- رفضك مرافقتي الى المنزل لا يترك لي الخيار. اليس كذلك؟
سحب يده بلطف عن وجهها مفسحاً لها في المجال للتقاط انفاسها،
وسار امامها نحو غرفة الجلوس:

- هل تعجبك؟

تفحصت الغرفة بنظرة سريعة غير مكترثة بأثاثها النفيس، ثم اجابت:
- ربما.

امسك بيدها يقودها الى وسط الغرفة وعلق مبتسماً:

- سأنتك رأيك في الغرفة لاني اسعى لمعرفة الحقيقة. ما الذي لا يعجبك
فيها؟

عاودت النظر الى محتويات الغرفة واجابت متعمدة السخرية:
- الغرفة بأكملها لا تعجبني، فهي تصلح لتصوير مشهد في احد الافلام
الرخيصة.

- وماذا تدري فتاة رصينة مثلك عن امور كهذه؟

- لست طفلة.

- لا، لست طفلة. من المؤسف ان لا تعجبك الغرفة فانا اجدها مريحة
للغاية. اضواؤها خافتة وموسيقاها ناعمة (وضغط على احد الأزرار
فتهادى الى مسعبيها نغم ناعم) اكثر ما يعجبني فيها مقاعدها المريحة جداً.
- مقاعد؟ اية مقاعد؟ اني لا ارى سوى اريكتين، وهما بنظري تصلحان
لكل شيء الا للجلوس.

- انك تنبهيني الى امور كانت خافية علي.

- لست بحاجة الى تنبيه احد، فهذه الامور تلمح في خلدك منذ البداية.
التقت عيونهما لثوان احست جسيكا خلالها بارتعاش لذيذ بالرغم من
محاولاتها المستمرة لمقاومة جاذبيته، فأردفت بصوت خافت:

- هل دعوتني الى هنا لتغريبي؟

- هل تصدقيني ان نفيت ذلك؟

- كلا.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفثيه:

- اذن انت فتاة حكيمة. وهذا احد اسباب اعجابي بك.

- اراك تعترف بذلك.

- لنقل اني احاول ان اكون لائقاً معك، وما تبقى عائد اليك وحدك.
- اتعني ان لي ملء الخيار في رفض اقتراحاتك؟
سكب دان كوبين من العصير ثم تقدم منها قائلاً:
- قد يصعب عليك تصديق ما سأقوله، لكنني اؤكد لك انه لم يسبق ان
فرضت نفسي على امرأة بالقوة.

- هل تقول هذا لتشعري بالأمان؟

- قصدت بعبارتي ان اخفف من تشنجاتك.

قدم لها كوباً من العصير تناولته منه وجلست على الأريكة مسندة ظهرها
الى الوسادات الصغيرة المحيطة بها من كل جانب.

جلس دان قربها من غير ان يرفع نظره عنها لحظة واحدة. لاحظت
محاولته اغراءها في كل نظرة رمقها بها وفي كل كلمة قالها. لكن ما يثير هلعها
هو احساسها بأنها بدأت تستجيب رويداً رويداً لمحاولاته مأخوذة بسحره
وجاذبيته. عليها ان تضع حداً لما يحدث قبل فوات الأوان.

نهضت من مقعدها ووضعت كوب العصير على الطاولة هاتفة:

- هذا مستحيل! لا استطيع البقاء هنا.

- ولم لا؟ بيتر في المستشفى، وهذا يعني ان الليل بأكمله لنا.

- لا يسعني قضاء الليل هنا.

- هل تحشين كلام الناس؟

- لا تدع جهلك لما يقوله الناس عنك في هذه البلدة.

- انا لا ادعي شيئاً، لكن اود ان اذكرك انك جئت الى هنا في سيارتي فلم
يرنا احد نصل ولن يرانا احد نرحل. عدا عن ان سيارتك امام منزلك
وسيلظن من يراها انك نائمة.

بقيت على عنادها بالرغم من علمها انه لا يجدي مع رجل مثل دان:

- ما زلت افضل العودة الى منزلي.

مد ذراعيه يطوق خصرها، فأحست بلهيب يسري في انحاء جسمها.
ثم دفعها بتعمية الى الوراها فسقطت على الأريكة وجلست قربها يقدم لها
كوب العصير مجدداً:

- اشربي العصير ولا تجزعي. ما زالت السهرة في بدايتها.

تناولت الكوب بيد مرتعشة محاولة الكلام:

- دكتور ترافورد . . .

وضع ذراعه على حافة الأريكة خلفها:

- ناديني دان هذه الليلة.

- أنك لا تستسلم بسهولة يا دان.

- فقط عندما أقع على شيء يستحق العناء.

- اتعني وقوعك علي؟

- أجل.

رشت بعض العصير لتحرر عينيها من امر نظراته:

- طلبك غير متوافر عندي.

- وما ادراك ما هو طلبي؟

- مضى على وصولي الى لوزيفيل اكثر من شهر، وما سمعته وشاهدته

يكفي لأعرف مبتغاك.

- أنك ولا شك تعنين سيلفيا سامرز.

- اصبت في ظنك ولكن . . . حياتك الشخصية لا تهمني ما دمت مصراً

على توريطي فيها.

بحركة معاجزة انحنى فوقها مطوقاً خصرها بذراعيه يمنعا من الحراك او

المقاومة ، فأحست بلهائه الدافئ يغمرها بنعومة ويبعث فيها احساس

لذيذة وغريبة في آن معاً. لكنه اكتفى بالكلام:

- اهذا رأيك بي؟

ارجعت رأسها الى الخلف تحاول التملص من انامله:

- لم اعتد الاهتمام بالرجل الذي يستغل المرأة من اجل نزوة فحسب.

ابتسم بمكر معلقاً:

- امرأة مثل سيلفيا لا تطالب الرجل بأكثر من ذلك.

- ووافقك الرأي، لكن حتى امثال سيلفيا بحاجة لاستقرار والزواج في

حياتهن.

- الزواج! وهل سيوفر لي ما لا املكه الآن؟

- اجل سيوفر لك عائلة. الا تريد اطفالاً يا دان؟

- علي ان اجد الزوجة قبل ان افكر بالأطفال. على كل حال لست

مستعداً لأرتبط مع امرأة واحدة طيلة حياتي.

أحست بالمرارة من غير ان تدرك السبب، فتناولت كوب العصير تطفئ

بمحتواه نار الحسرة المتأججة في داخلها.

نظر اليها قائلاً يتململ:

- كيف انجرفنا الى هذا الحديث الآن؟

- لا ادري ولكن من الأفضل ان نهي المناقشة.

اقترب منها مرة اخرى، لكن قرعاً خفيفاً على باب الغرفة منعه من تحقيق

مأربه. التفتا ليجدا الخادم الأسود بسترته البيضاء واقفاً عند الباب.

- العشاء جاهز يا سيد دان.

- شكراً يا جوناكس.

انتقلا الى غرفة الطعام حيث اعد الخادم المائدة بطريقة مثيرة للاعجاب

وقام بخدمتها خلال العشاء. بدا وكأنه اعتاد يومياً القيام باعداد المائدة

وخدمة زوار سيده، فأحست جسيكا بشيء من الغيرة وهي تتساءل عن

عدد اللواتي جلسن الى هذه المائدة وربما على كرسيها.

قررت ان تصرف نفسها عن التفكير بما يزعجها، فأكملت التهام قطعة

اللحم في طبقها بينما بدأ جوناكس بتقديم القهوة. نظرت الى دان آخذة

المبادرة بالحديث:

- أنت جراح ممتاز يا دان، فهل فكرت يوماً بالتخصص في جراحة

معينة؟

- جراحة الأعصاب تثير اهتمامي، وحالما اشعر بالملل في عملي هنا،

فستكون خطواتي التالية.

- في هذه الحالة عليك بالتحدث الى والدي.

رفع حاجبيه باندهاش وسألها:

- والدك؟

- والدي مختص بجراحة الأعصاب لكنه تقاعد السنة الماضية.

- لماذا لم تجربني بذلك من قبل؟

- لم ادرك ان الموضوع ذو أهمية.

- هل مستنح لي الفرصة لمقابلة والدك؟

نظرت اليه خلسة لتفاجأ به جاداً للمرة الأولى، فأجابت:

- اجل هذا ممكن.

- حسناً، سأعتبر كلامك بمثابة وعد.

عند عودتها الى غرفة الجلوس، اختار دان احد اشربة التسجيل من مجموعته الهائلة، وأدار الآلة فانبعث نغم هاديء اضاف الى الغرفة جواً من الشاعرية. ثم استدار نحوها مسلطاً عليها نظراته الساحرة:

- تعالي نرقص يا جسيكا.

لم تقو على الرفض واستسلمت ليديه تتشلائها عن الأريكة وتضماتها اليه بخفة ورشاقة. لقد رقصت مع العديد من الشبان لكن الرقص مع دان شيء مميز. امتدت ذراعه تطوق ظهرها باعثة فيها شتى انواع الأحاسيس. وبحركة لا شعورية مدت يدها لتستلقي بارتياح على صدره الدافئ. شعرت انها تسيح في الفضاء الواسع بعيداً عن كل ما حولها وتمت لو تبقى هناك الى ما لا نهاية.

لم تدر كم من الوقت بقيت بين ذراعيه، فالزمن توقف حينما ضمها اليه ولم تعد تكثر بالموسيقى ولا حتى بخطواتها. ترغبت فقط بالبقاء اسيرة هذا الطوق من العضلات الى الأبد. لكن انامله عاودت التحرك من جديد حول عنقها بحركات تبعث على الارتياح، فابتعدت عنه غير آبهة بنداء اعماقها.

ابسم بحنان قائلاً بنبرة عاطفية:

- اني اجد صعوبة بالغة في لجم تصرفاتي معك.

- الا تظن ان الوقت حان لتعيدني الى المنزل؟

- لست جادة فيما تقولين.

لقد فقدت ثقتها بتلك الارادة التي طالما صدته بها، فتمتمت:

- بل انا مصرة.

استعادت عيناه بريق السخرية وقال راضحاً:

- حسناً، لقد وعدتك بأن اعيدك الى المنزل ساعة تشائين. اليس

كذلك؟

لم يخرج دان عن صمته خلال عودتها الى منزل جسيكا، فاحتارت كيف تعلق سكوته. اهو غاضب؟ ام انه لم يعد يكثر بها بعد ان يش من نيل مآربه؟ نساء عديدات ينتظرون اشارة منه ليهبه ما رفضت هي تقديمه.

ما ان توقفت السيارة امام مسكنها، حتى همت بالترجل قائلة:

- لن ادعوك للدخول يا دان.

لكنه امسكها بكتفها قبل ان تخرج:

- سأدخل على كل حال.

وتبعها الى داخل المنزل وأغلق الباب خلفها.

صاحت بحق وهي تضيء غرفة الجلوس:

- لقد تماديت بما فيه الكفاية.

رمى المفاتيح على الطاولة مومناً برأسه:

- بريك يا جسيكا، لماذا تصرفين هكذا؟

لم تكثر لنظرة التهديد في عينيه وابتعدت عنه متجهة الى المطبخ:

- سأحضر لك فنجاناً من القهوة ومن ثم تعود الى منزلك.

اشعلت النار تحت غلاية القهوة لكنه اسرع الى اطفائها حابساً اياها بين

جسمه والفرن الحديدي. فاستدارت تحاول الافلات لكنها لم تفلح وماتت

الكلمات عند شفيتها. بدا الفارق بين القامتين كبيراً وأحست بانها امام

مارد بمتكبيه العريضين يحجان الضوء عنها. دب الهلع في نفسها واحتارت

كيف تتخلص من مأزق خطير سعت اليه بجملة ارادتها. وقبل ان تكشف ما

يدور في خلده رفعها عن الأرض حتى التقت عينها الجاحظتان بريق

عينيه، فراحت تنتفض كالعصفور بين يديه، ويداها هائمتان في الهواء في

حركات هستيرية من غير ان تصيب هدفها:

- انزلي على الفور.

- طوقني عنقي بذراعيك.

كانت تعلم انه لن يفعل ما تطلبه منه او يابه باعتراضها، وعيناه

المسلطتان عليها خير دليل على ذلك. تمتمت ان تصفعه لكنها خشيت

العاقبة، فصاحت بصوت مضطرب:

- لن افعل ذلك ابداً.

اضحكه اضطرابها فرد بسخرية:

- وزنك خفيف للغاية يا جسيكا وأنا على استعداد للبقاء بهذا الوضع

حتى تنفذي ما اطلبه منك.

- انت رجل بفيض يا دان ترافورد.

- وأنت امرأة رائعة عندما تغضبين.

لم يترك لها الخيار، فاضطرت مكرهه لأن تنفذ طلبه.

قالت وقد علا الاحمرار وجهها:

- والآن افلنتي حالاً.

هز دان رأسه وقال بنبرة حازمة:

- يجب ان تعانقيني بطريقة صحيحة أولاً.

كادت ان تياس من ربائه وقررت بجاراته في جنونه الى النهاية ما دامت هذه الطريقة الوحيدة للتخلص منه. اغمضت عينيها الثائرتين فانتهز الفرصة وعانقها بطريقة ناعمة اثارت اعصابها مشعلة فيها ناراً مستعرة. كان بإمكانها ابعاده لكنها لم تفعل، فقد شل فيها كل اثر للمقاومة، فاستسلمت بعد طول عناد.

تراجع دان متمتماً بتهكم:

- كانت تجربة ناجحة اليس كذلك؟

توقع ان تثير نبرته الساخرة غضبها من جديد، لكنها بدلاً من ان تثور، مدت يدها الى رأسه تداعب شعره الداكن بأناملها مما شجعه. اثار فيها زوبعة من الأحاسيس الممتعة لم تظن اليها في السابق. افلنتها من غير ان يطلق سراحها من برائن نظراته اللامعة والغريبة. وقبل ان تلتقط انفاسها وجدت نفسها مرة اخرى اسيرة ذراعه الفولاذية، واستسلمت لتلك العاصفة القادمة غير مكرثة. تغلب نداء الشوق على تحذير العقل لها بالتوقف والمقاومة، فلمسات انامله شلت فيها كل قوة. تعلم انها ستندم غداً على ما تفعله الآن وستكره نفسها كلما فكرت به، لكنها في هذه اللحظة ملكه وملك هذا الاحساس الرائع والكلمات الدافئة التي يمسها في اذنها:

- اريدك لي... اريدك الآن، الآن.

اثارت عباراته ريبته وكأنه سكب ماء بارداً فوق عواطفها الملتبئة فانتفضت مفلتة نفسها من ذراعه، واغمضت عينيها تحفي حياء والمأ لاها فيها:

- ابهذه البساطة؟

صدته بيديها وأدارت له ظهرها.

- انا آسفة يا دان. لست مستعدة لهذا النوع من العلاقة.

وأردفت بعدما استرجعت بعضاً من ثقتها بنفسها:

- لن يكون للحب مكان في علاقات كهذه وستكون النتيجة وخيمة علي.

- هل انت متأكدة من النتيجة؟

- اني اعرف نفسي يا دان.

تقدم منها فتوردت وجنتاها وحاولت الابتعاد، لكنه امسك بخصلات من شعرها وأجبرها على الاستدارة لتواجه عينيه:

- لا ادري ما افعل بك يا جسيكا.

- الغ اسمي عن لائحة فتوحاتك، وأبحث لنفسك عن امرأة اخرى مثل سيلفيا سامرز.

انقلبت نظراته الساخرة الى اخرى تقدح شرراً، تركت آثارها على وجهها شحوباً وارتجافاً.

- عمت مساء يا جسيكا.

٦- جبهها له ضرب من المستحيل . فهو ليس
الرجل الذي تنشده . لكن لماذا يؤلمها التفكير
بأنه مع امرأة أخرى . . . الى هذا الحد؟

وصل جوناثان واميليا نيل الى لوزيفيل بعد ظهر نهار الجمعة وانتقلا على
الغور الى دار آل اوبريان ، ملين دعوة للعشاء بعدما اتفقا مع جسيكا على
مرافقتها بعد انتهائها من عملها .

فوجئت الأبنة عند دخولها منزل فيفيان بجو المودة والالفة المخيم على
المجتمعين وكانهم على معرفة سابقة .

بدا والداها مسرورين جداً في التحدث الى مضيفتهما ، مأخوذين
بسحرها وحسن ضيافتها . ولم يطل الأمر حتى انضم بيتر ، فجلسوا
الى مائدة حفلت بكل ما تعلمت فيفيان تحضيره من مأكولات ، يتبادلون
الأحاديث ويتناقشون في أمور الطب .

ادركت جسيكا خلال السهرة ان والديها باتا مقتنعين تماماً بصواب
انتقالها الى لوزيفيل ، فلم يتطرقا الى الموضوع أبداً .

وعند عودتهم الى المنزل ، اعترف الوالدان لجسيكا بأنها اساء الظن
بلوزيفيل بعد ما سمعاه من الدكتور اوبريان وما شاهدها خلال مرورهما
فيها .

في الصباح التالي ، اصطحب بيتر ضيفه في جولة الى المستشفى تاركين
اميليا تستمع الى ابنتها تحدثها عن عملها وطريقة عيشها في لوزيفيل .

- اني بخير يا أماء ، فلا تقلقي علي .

- هل تهتمين بأكلك؟

ضحكت الأبنة وقالت مطمئنة :

- بدأت اتعلم الطهي ، عدا عن ان فيفيان تحيطني برعايتها . كم من مرة
عدت فيها متأخرة لأجدها قد حضرت لي العشاء .

- انها سيده راثعة .

- الجميع هنا لطفاء معي ، وأنا مسرورة بالعمل .

لم تسنح الفرصة لجسيكا للتحدث الى والداها على انفراد حتى بعد ظهر
اليوم التالي . جلسا في غرفة الجلوس بينما تمددت اميليا في غرفتها ، يتحدثها
باعجاب عن المستشفى وعن جولته في ارجائها :

- اعترف يا جسيكا بأني اعجبت كثيراً بالدكتور اوبريان . لم اعرف شيئاً
بعد عن شريكه .

فوجئت جسيكا بعبارة ابنيها واحتارت كيف تخفي انفعالها بحمية بتلغثم :
- دان ترافورد؟ آه ، انه . . . انه طيب لامع وجراح ماهر ، ويدي
اهتماماً بجراحة الاعصاب .

توقف جوناثان عن مراقبة الدخان المتصاعد من غليونه والتفت اليها
سائلاً باهتمام :

- أصحيح؟ هل ستسنى لي مقابلته؟

- استبعد ذلك ، فهو . . . (لاحظت علامات الحمية على وجه والداها
فاستدركت) هل اتصل به وادعوه لتناول فنجان من الشاي؟
رحب جوناثان باقتراح ابنته هاتفاً :

- ولم لا؟

من حسن حظها انها نقلت الهاتف من غرفة الجلوس ، فلم ير والداها
ارتجاف يدها وهي تدير قرص الهاتف في غرفة نومها . تهادى الى مسمعا
صوت انثوي هادى النبرات ، فأحست بقشعريرة تسري في جسمها
وسألت :

- أهذا منزل الدكتور ترافورد؟

- أجل ، لكنه في اجازة عطلة الأسبوع . بإمكانك الاتصال بشريكه
الدكتور اوبريان .

قطع الخط قبل ان تسنح الفرصة لجسيكا للاستيضاح ، فاعادت
السماعة الى مكانها وعادت ادراجها الى غرفة الجلوس بعينين تائهتين
يعتصرهما الألم . بادرها جوناثان بالسؤال :

- هل سيأتي؟

تهادت على مقعدها شاردة الذهن وتمتمت :

- لا اعتقد ذلك، فهو... مرتبط بموعد آخر.
علق الأب بخيبة:

- أمر مؤسف (وحدج ابنته بنظرة ثابتة متابعاً) أراك شاحبة الوجه يا جسيكا. هل تشعرين بشيء؟
تعمدت الابتسام قائلة:

- مجرد ألم خفيف في المعدة. سألته الشاي قبل ان تستيقظ أمي.
ما ان انفردت بنفسها في المطبخ حتى راحت تؤنب ذاتها على بلاهتها وتهورها في علاقتها مع دان. كيف تركت نفسها تتورط مع شخص عرفت غايته منها منذ البداية؟ لم تعد تدرك حقيقة شعورها نحوه. هل تحبه ام لا؟ واقتنعت في نهاية الأمر بأن حبه له ضرب من المستحيل، فهو ليس الرجل الذي تشده... لكن لماذا التفكير بأنه مع امرأة أخرى يؤلمها الى هذا الحد؟ أمي الغيرة التي تحز في نفسها أم أشمئزها من تصرفاته؟

انقضت عطلة الأسبوع بسرعة، ولم تلتق جسيكا الدكتور ترافورد الا مساء الاثنين في العيادة، حيث اضطرت لانتظار بيتر الى حين عودته من المستشفى للتباحث في حالة أحد المرضى. كانا يتكلمان عن والديها حين دخل عليها دان باناقته المعهودة.
بادره بيتر وهو يهجم بالخروج:

- من المؤسف انك لم تقابل والدي جسيكا في عطلة الأسبوع، فجوناثان نيل واحد من أشهر الاطباء الذين صادفتهم. كنت ولا شك ستسر بمعلوماته عن جراحة الاعصاب التي تعطيها الكثير من اهتمامك.
بقي دان صامتاً الى ان أغلق بيتر الباب خلفه، فسأل ببرودة:
- لماذا لم تعلميني بقدم والديك؟

نهضت جسيكا عن مقعدها ووضعت يديها في جيبي سترتها مخافة ان يلاحظ ارتجافها وسارت الى النافذة تنظر الى الخارج:
- اتصلت بك بعد ظهر السبت لادعوك لتناول الشاي لكنني اكتشفت انك كنت مشغولاً جداً.

تقدم منها مجيئاً بنبرة هادئة لا أثر فيها للاعتذار أو للأسف:
- أه، سيلفيا. أمي التي تلقت المخابرة؟

- اعتقد ذلك، ما لم تكن قد امضيت عطلتك مع أكثر من امرأة.

- كلمة منك يا جسيكا وتصيح سيلفيا سامرز صفحة من الماضي.
استدارت تواجهه قائلة بسخوية:

- اتساءل متى ستعود قول هذه العبارة الى فتاة أخرى؟

- جسيكا! لم أتمن امرأة قبلك كم أتمنك انت.

- يفترض ان اشعر بالاطراء لكنني أحس العكس تماماً. وان اردت معرفة حقيقة شعوري الآن فيمكنني اختصارها بكلمة حقارة.
شحب وجهه فجأة وامسك برفقها يهزها بعنف:

- يا الهي. اراهنك على انك كاذبة في حقيقة شعورك، فانت لم شعري بالحقارة تلك الليلة. ما أحسست به ساعتها كان عاطفة جامحة لا تخفى على احد. لا تحاولي التلاعب معي يا جسيكا نيل والا اثبت لك الآن وفي عيادتك كم انت كاذبة.

- انك... انك تؤلمني.

- احدي ربك على ان يدي ليستا حول عنقك لأنني ما فكرت يوماً بازهاق روح انسان كما افكر الآن.

اقلتها، فتراجعت الى النافذة تدفن وجهها في راحتيها بينما غادر الغرفة، مغلقاً الباب خلفه بقوة جعلتها تهتز في مكانها. لقد خرج من حياتها مخلفاً فيها جرحاً يصعب على الأيام مداواته.

كان شعورها في محله، فخلال الأسابيع التي تلت، عاملها دان كأني شخص غريب. افتقدت ملاحظاته الجارحة لها، افتقدت هزئه المعتاد. لم تعد تلاحظ ابتسامته الساخرة بل وجه عابس يلعب دور رب العمل. انها تحبه كما لم تحب انساناً في حياتها. وتشعر بهذا الحب يضح في اعماقها ويهدر في عروقها. لكنها تأخرت في الاعتراف بهذا المارد السجين في قوادها، ولم يعد بإمكانها الافصاح عن حبه لانسان لا قيمة للحب عنده.

كانت جسيكا عائدة من زيارة احد مرضاها في احدي المزارع المجاورة، فمرجت على منزل اوليفيا للاطمئنان عليها وعلى الطفل، فقد شعرت اليوم بحاجة الى محادثة شخص يفهمها ويساعدها، فلم تجد أفضل من هذه الصديقة الوفية التي طالما اعجبت بأرائها وعملت بنصائحها.

جلستا على الشرفة تتناولان الشاي بينما غط لوغان في نوم عميق في سريره الصغير بالقرب من والدته. لم تحل لقاءاتها في المدة الأخيرة من

الحديث عن الطفلة القادمة الى لويزفيل، فسالت اوليفيا ضيفتها بحماس:

- متى تتوقعين وصول ميجان؟

- سنصل غداً صباحاً في اول قطار قادم من جوهانسبرغ.

- هل اخبرت فيفيان بذلك؟

- اكتفيت باعلامها بقدوم الطفلة لتمضية بعض الوقت معي، وسألتهما السماح لها باللعب في الحديقة خلال عملي في العيادة.

- ماذا كان جوابها؟

- تعرفين فيفيان. لم تبد أي اعتراض بل رحبت بالفكرة واعدة باحاطة الطفلة بعنايتها طوال النهار اذا اضطررت للتغيب عن الغداء.

- ارجو ان تنجح الخطة.

- هذا ما اتمناه أيضاً.

كانت تعلم انها عملية رهان لا اكثر، من غير ضمانات اكيدة لنجاحها.

امضت جسيكا ليلتها تصارع الارق، تتساءل ان كان تصرفها صائباً في تدبر اللقاء بين فيفيان وميجان؟ فقد لا تتفقان معاً وتضيق فيفيان على نفسها وعلى الطفلة فرصة نادرة.

او قد تسير الأمور على ما يرام وتتحابان، ولكن هل يبقى دورها خافياً على الاثنين فتتفادى احراجاً هي بغنى عنه؟

اقتنعت، بعد ان غلب الكرى اجفانها، بالكف عن تساؤلها، فالعملية كلها مجرد تجربة وان فشلت فلن تلحق الاذى بأحد.

استيقظت قبيل الفجر على غير عادة، قارتدت ثيابها على عجل وتوجهت الى محطة القطار تنتظر وصول ميجان.

اجاب موظف المحطة على تساؤلها الفلقة وهي تذرع الرصيف بخطى سريعة:

- سيصل القطار بين دقيقة واخرى يا دكتورة نيل.

ولم تمض دقائق حتى شاهدت دخان القطار وهو يقترب من المحطة. وقبل ان يشارف على التوقف، أطلقت الطفلة برأسها من احدى النوافذ تلوح بيدها لجسيكا هاتفة:

- دكتورة جسيكا، دكتورة جسيكا.

وما هي الا لحظات حتى كانت ميجان ترتقي في حضن جسيكا بقوة كادت ان توقعها، لكنها نجحت في استعادة توازنها وطوقت ميجان بذراعيها.

- يسرنى ان اراك ثانية يا ميجان. كيف حالك يا صغيرتي؟

- اشتقت اليك يا دكتورة.

- وانا أيضاً (وحملت الحقيبة الصغيرة متابعة) لنذهب الآن، ستكلم في الطريق فأنا متشوقة لأريك منزلي.

لم تكف ميجان عن الكلام طوال الطريق، فاخبرت جسيكا كيف رافقها جونانان نيل من الميثم في سيارته الفخمة، محملة بقطع الحلوى التي ارسلتها اميليا لها، وحكت لها عن الرحلة الممتعة في القطار من جوهانسبرغ الى هنا. اصغت اليها جسيكا بحنان من غير ان تقاطعها. لم تعهد هذا الحماس الى الكلام والضحك، فقد عرفتها كشيبة لا يعرف وجهها الابتسامة.

انهمكت جسيكا فور وصولها الى المنزل بتحضير الفطور، بينما راحت ميجان تتحرى المنزل غرفة بعد الاخرى.

لاحظت جسيكا عند جلوسها الى المائدة شهية الطفلة الهائلة الى الأكل فسألتهما بتودد:

- ألم تأكلي شيئاً في القطار؟

- بل، لكنني لم اذق البيض منذ فترة طويلة، فالمسؤولون عن الميثم لا يقدمونه الا في المناسبات الخاصة.

دفعت بطبق البيض أمام الطفلة من غير ان تسألها عن ماهية المناسبات الخاصة، وراحت تراقبها تلثم البيضه تلو الاخرى بشهية غير معقولة.

ما ان انتهت جسيكا غسل الصحون، حتى سمعت طرقة على باب المنزل وصوت فيفيان سائلة:

- هل بإمكانك الدخول؟

- بالطبع يا فيفيان، نحن في المطبخ.

وضعت الزائرة طبقاً من الحلوى على الطاولة قائلة:

- حضرت بعض الحلوى مساء البارحة (واردفت تنظر الى ميجان) فقد تودين تناولها مع الشاي.

- شكراً يا فيفيان (ورببت على كتف الطفلة متابعه) ميجان، انها السيدة اوبريان وزوجها طبيب ايضاً.

مدت الصغيرة يدها مصافحة:

- مرحباً يا سيدة اوبريان.

امسكت فيفيان بيد ميجان بحرارة وقالت مبتسمة:

- يسرني التعرف عليك يا ميجان وارجوك ناديي العمه فيفيان (والتفتت نحو جسيكا تسألها) هل لديك عمل بعد ظهر اليوم؟

تهددت جسيكا بحجبة:

- أجل يا فيفيان.

- سأزور اوليفيا اليوم وبامكاني اخذ ميجان معي لتعرف على فرانسين.

لا شك في انها ستجد سلوى في المزرعة.

سألت الطفلة بحماس:

- هل تملكين مزرعة يا عمه فيفيان؟

- انها مزرعة أخي، ولديه ابنة تدعى فرانسين تكبرك بثلاث سنوات

لكني متأكدة من انها ستسربلقائك. ستجولان في المزرعة وتمضيان وقتاً

ممتعاً. هل تودين مرافقتي؟

رفعت ميجان عينيها الزرقاوين نحو جسيكا تسألها بتهديب:

- هل تستطيع الذهاب يا دكتور جسيكا؟

- طبعاً يا حلوتي.

- حسناً، سأمر لاصطحبك بعد الغداء مباشرة.

تنفست جسيكا الصعداء بعد خروج فيفيان، كانت قلقة للغاية من

نتيجة محادثة ميجان مع جاريتها، فالمرحلة الأكثر صعوبة تكمن عند

التعارف.

راقبت الطفلة فيفيان تعود ادراجها في الممر الحجري وسط الحديقة،

وقالت:

- انها سيدة لطيفة.

- أجل انها لطيفة للغاية. تعالي نرتب اغراضك.

افرغت جسيكا حقيبة ميجان الصغيرة من محتوياتها البسيطة، وراحت

تستعرض الملابس القليلة الموضوعه فيها بغير ترتيب. انها كل ما تملكه

ميجان في هذه الدنيا، اضافة الى فرشاة اسنان واخرى للشعر ومنشفة.

- أظن اننا بحاجة لساعتين من التسوق. انت بحاجة لفساتين جديدة

وبعض القمصان والسراويل لترتديها اثناء اللعب.

فتحت الطفلة فاهاً غير مصدقة ما تسمع:

- هل ستبتاعين لي ثياباً جديدة؟

- أجل، فلنتفقل باب المنزل ونبدأ جولتنا على المحلات.

امضتا وقتاً ممتعاً في التجول بين أسواق لويزفيل، ولم تتركا محلاً الا

ودخلتاه أو توقفتا امام واجهاته، تستعرضان الثياب وتفرجان على آخر ما

ابتكرته مقصات الخياطين وأذواق المصممين.

عثرتا في نهاية المطاف على محل لالبسة الاطفال لتخرجا بعد قليل

محملتين بالاكياس والعلب، حملت ميجان قسماً منها هانفة:

- قضينا وقتاً ممتعاً، أليس كذلك؟

- لديك الآن ما يكفيك، هل نسينا شيئاً آخر؟

- ابدأ. لم احصل على هذه الكمية من الهدايا منذ وقت طويل. شكراً يا

دكتور جسيكا.

علت قحة مصطنعة خلفها مباشرة، فاستدارت جسيكا لتجد نفسها

وجهاً لوجه مع دان ترافورد يلقي التحية:

- صباح الخير.

لوم تكن تعلم انه مستحيل طيباً، لأنست على ان قلبها قد انتقل من

مكانه من شدة خفقانه.

- صباح الخير يا دكتور.

قدم نفسه الى ميجان مبتسماً:

- أنا دان ترافورد. ما اسمك؟

حدجته الصغيرة بنظرة حجولة واجابت:

- ميجان لاي. هل انت طبيب ايضاً؟

- نعم، هل يزعبك ذلك؟

- طبعاً لا (والتفتت نحو جسيكا قبل ان تعاود السؤال) هل انت صديق

الدكتور جسيكا؟

لاحظ دان ارتباك جسيكا ونورد وجتبتها، فاجاب غامزاً بعينيها لميجان:

- لا تهتمي لتعابير وجه جسيكا. انها تخبني لكنها تريد ابقاء الامر سرّاً
(وتعمد تغيير الموضوع مثيراً دهشة جسيكا) هل ترغين بتناول البوظة؟
وافقت ميجان بسرور:

- اجل.

ساعدهما في حمل الاغراض وساروا معاً نحو كافيتريا قريبة.
- يبدو انكما اشتريتما اغراضاً كثيرة اليوم.

اجابت ميجان باعتزاز:

- اشتريت لي الدكتوراة جسيكا مجموعة كبيرة من الثياب.

رمى جسيكا الصامته بنظرة سافرة وهم يدخلون القاعة المبردة:

- لا عجب في ذلك، فهي صاحبة ذوق رفيع.

هتفت الصغيرة مشيرة باصبعها الى احدى الزوايا:

- هناك طاولة شاغرة.

- اسرعي اليها يا ميجان (وتطلع الى جسيكا مردفاً) تفضلي يا دكتوراة
نيل.

تقدمت جسيكا بصمت وما ان جلسوا الى الطاولة حتى سألها دان
بتهكم:

- ماذا تظلين يا جسيكا، بوظة مثل ميجان؟

تعلم انه يسعى لاثارة غيظها فحافظت على هدوئها واجابت:

- سأتناول فتجاناً من الشاي. شكراً.

نادى دان الخادم بإشارة من يده وطلب:

- نريد صحناً كبيراً من البوظة للسيدة الصغيرة وفنجانين من الشاي.
شكراً.

ولما ابتعد الخادم نظر الى ميجان مردفاً:

- هل ستمضين اجازتك مع الدكتوراة جسيكا؟

- أجل، فقد سبق للدكتوراة ان وعدتني باحضاري الى هنا لتمضية
العطلة، وكعادتها فقد وفّت بوعدها لي.

- عظيم! انه وعد يستحق الوفاء حقاً.

- هل انت طبيب ناجح مثل الدكتوراة جسيكا؟

توردت وجنتا جسيكا من جديد وهي تستمع بانزعاج الى الحوار

الدائر امامها.

- اتخى ذلك. ما رأيك يا جسيكا؟

ابتسمت بحمية بدهاء:

- وهل لاحد ان يتناقش في مقدرة جهاز كومبيوتر على تقديم معلومات
صحيحة؟

جهلها خلفيات الحديث، لم يسمح لميجان بان تدرك حقيقة ما قصده
جسيكا في كلامها. لكنها لاحظت نبرة العداء الواضحة في كلماتها،
فنظرت بذهول الى الاثنين تحاول اكتشاف حقيقة ما يجري.

لم تنب حركتها عن انتباه دان، فبادر الى ايضاح الامر لها:

- ما عنته الدكتور جسيكا هو اني طبيب لامع. ان لم أقل افضل منها.
ونظر الى غريمته بتحدّ مردفاً:

- هذا ما عنيته في كلامك. اليس كذلك؟

ترددت جسيكا في الاجابة، لكنها ما ان لاحظت نظرات ميجان الحائرة
وانتظارها للرد حتى تنهدت مبتسمة رغماً عنها:

- وهل يمكن ان أعني غير ذلك؟

لم يشكرها على جوابها بل اكتفى بالابتسام وهو يتناول اقداح الشاي من
الخادم. فوجئت جسيكا خلال جلستهم بتعلق دان بالاطفال. حتى ميجان

ارتاحت له وتخلصت من الحياء الذي قيد حركاتها في لقاءها الآخرين.

بامكانه ان يكون لطيفاً حينها يشاء، لكن لطافته مع ميجان تختلف تماماً عن

اللطفة التي ابداهما نحوها في الماضي. لم تتصور ابداً ان شخصاً كدان

ترافورد يبدي اهتماماً بالاطفال الا في ما يتعلق بمهنته. وتساءلت ان كانت

قد تسرعت في الحكم عليه من خلال ما سمعته من أقاويل واخبار؟ لكن

الوقائع كلها ضده، وعلاقته بسيلفيا سامرز تمنعها من مراجعة حساباتها،

وطرد الاوهام من مخيلتها.

رافقها دان الى حيث اوقفت جسيكا السيارة وتقدم من الصغيرة قائلاً

بحنان صادق:

- سررت بمعرفتك يا ميجان.

- شكراً يا دكتور دان على البوظة.

وضعت جسيكا الاغراض في السيارة، واجلست ميجان في المقعد

الامامي ثم تقدمت من دان مخاطبة:

- اشكرك على تصرفك اللطيف مع ميجان.

- بامكاني ان اكون اكثر لطافة لو حاولت ان تكتشفي ذلك.

* احتارت كيف تفسر شعورها نحوه في هذه اللحظة ونظرت اليه قائلة بصوت عال:

- لن نشغلك اكثر. شكراً على الدعوة.

انحنى امامها قائلاً بسخريته المعهودة:

- هذا من دواعي سروري.

ما ان ابتعدت بسيارتها مسافة قصيرة حتى نظرت بالمرآة لتجد واقفاً حيث تركاه وما لبث ان لوح لها بيده مودعاً وكأنه أحس بنظرانها، فتوردت وجنتها وضاعفت من سرعة السيارة كي تتخلص من تأثيره عليها.

قالت ميجان وهما تهماان بدخول المنزل حاملتين العلب والاكياس:

- ألم يعجبك الدكتور ترافورد كما اعجبني؟

- بلى، أظن ذلك.

سألتها الطفلة بفضول:

- اذن لماذا بدوت غاضبة عند بداية حديثنا معه؟

- لم أكن غاضبة بل فوجئت بقدمه.

لم تشأ جسيكا الاسترسال في هذا الاستجواب المخرج، فطلبت من الصغيرة ان تبادر الى ترتيب حاجياتها الجديدة في الخزانة الخشبية الصغيرة في غرفتها.

وقفت جسيكا تراقب فيفيان والصغيرة يتعدان في السيارة في طريقهما الى مزرعة آل كينغ. كل شيء يسير على ما يرام حتى الآن، ومن المؤكد ان خططها مستجح كما توقعت لها.

مضى الوقت ببطيئا بعد الظهر، واضطرت جسيكا لمغادرة المنزل مرة واحدة حينها استدعيت على عجل للكشف على احد مرضاها في الجوار.

قضت معظم وقتها في التفكير بما يجري الآن في المزرعة، تنتظر بقلق عودة ميجان. رن الهاتف في غرفة الجلوس، فرقت السماعه لتسمع صوت اوليفيا بوضوح:

- جسيكا؟ لقد غادرتا المزرعة الآن، وأظنك ترغين بمعرفة كيف

تصرفت فيفيان. اطمئني يا عزيزي، بدت أماً حقيقية. وفرانسين أيضاً أحببت الصغيرة. اعتقد ان خطتك قد نجحت.

- هذا ما تمنته منذ البداية، فميجان طفلة لطيفة.

- انها اكثر من لطيفة، واذا لم تقرر فيفيان شيئاً حياها فأنا على استعداد لتبنيها.

- انت رقيقة القلب يا اوليفيا.

- انت تفوقين الجميع رقة ولطافة. سأراك لاحقاً.

انهمكت جسيكا بالعمل في الأيام التالية، بقيت ميجان بمعية السيدة اوبريان طوال فترة غيابها عن المنزل. حتى ان فيفيان أصرت على ان تنام الصغيرة معها عندما تضطر جسيكا للعمل ليلاً. فمانعت جسيكا في باديء الامر حتى لا تثير شكوك فيفيان لكنها وافقت في النهاية امام حماس ميجان، وتعلقها الشديد بالدكتور اوبريان وزوجته.

بعد مرور اسبوع على وجود ميجان في لوزيفيل، توجهت جسيكا برفقة دان الى المستوصف بخارج المدينة، دأب على زيارته شهرياً. وفي الطريق خارج لوزيفيل اخبرها دان باقتضاب عن المستوصف وعن أهل القرية المحيطة به.

- الحالات المرضية كثيرة هناك بالرغم من الطقس الجميل والهواء المنعش النقي.

كان المستوصف يعج بالمرضى، فباشر دان عمله بالاهتمام بالرجال منهم، بينما تولت جسيكا الكشف على النساء والاطفال. بدت في قمة السعادة وهي تزور للمرة الاولى مستوصفاً، وبقيت في عملها حتى ما بعد الظهر عندما غادرا القرية عائدين الى لوزيفيل، سالكين هذه المرة الطريق الزراعية بين اشجار الصنوبر وغابات القصب. تمددت جسيكا منهوكة في مقعدها لكن فرحة لحوضها تجربة جديدة في عملها. بعد دقائق، وصلا الى الطريق الرئيسية المارة في سفح الجبل فسلكا درباً شديداً الانحدار تتخلله منعطفات قاسية.

وعند احد المنعطفات فوجيء دان بجمهرة من الناس متحلقين حول شاحنة لنقل الماشية يتراخضون في ذعر وفوضى.

فاضطر الى الضغط على مكابحه بكل ما أوتي من قوة، وأوقف السيارة

الى جانب الطريق وترجل من السيارة هائفاً:

- جسيكا استبقي. اظنه حادث اصطدام.

استقرت الشاحنة عند حافة المنحدر بعدما حطمت أوتاد الامان المتصوية على جانبي الطريق. مقدمتها تتأرجح في ذلك الفراغ الرهيب، بينما الدواليب الخلفية ما زالت عالقة بأعجوبة بعدد من الاوتاد وبعض الحجارة.

صاح رجل من بين الفضوليين:

- أنا سعيد برؤيتك يا دكتور ترافورد، هذا الرجل بحاجة لمساعدة (واشار بيده الى رجل جالس في الجانب الآخر للطريق واضعاً يديه فوق رأسه ثم اردف) لقد استطاع ان يقفز من الشاحنة قبل ارتطامها، اما السائق فما زال في مقصورة القيادة ولا ندري أحي هو ام لا.

اصدر دان اوامره بسرعة:

- اتجه فوراً الى المستوصف القريب واخبرهم بما حدث، واطلب منهم ان يجلبوا رافعة أو أي شيء آخر لسحب هذه الشاحنة. بعدها، اتصل بالمستشفى في لوزيفيل ليرسلوا لنا سيارة اسعاف حالاً.

- سأذهب بأقصى سرعة.

توجهت جسيكا الى حيث جلس المصاب حاملة حقيبتها الطبية وياشرت بالاسعافات الأولية.

ثم استدارت نحو دان وهو يراقب عملها قائلة:

- لقد اصيب برضوض مختلفة وشمزق في عضل يده، وحالته لا تدعو للقلق. ماذا بشأن الرجل في الشاحنة؟

- ليتني أعلم مدى اصابته. فنحن عاجزان عن القيام بشيء قبل سحب الشاحنة.

فكت جسيكا المندبل من حول عنقها وتناولت من حقيبتها قطعاً من القطن لفتها بالمندبل ثم احكمت ربطه وقالت بهدوء:

- لا اظن ان الوضع يتحمل الانتظار.

صاح دان بحدة وهو يراقبها تربط المندبل حول خصرها:

- ماذا ستفعلين؟

- سأتسلق سطح الشاحنة في محاولة للوصول الى مقصورة القيادة

(وأردفت بجديّة بالغة) دان، يجب ان أصل الى السائق قبل فوات الأوان.

- هل جننت؟ قد تنزلق هذه الشاحنة في أية لحظة.

- على احدنا ان يصل اليه يا دان. سأحاول أنا أولاً.

صاح مزجراً من شدة غضبه:

- علي اللعنة ان تركتك تقومين بهذا العمل المجنون.

لم يؤثر صياحه فيها وبقيت على عنادها:

- بحق السماء يا دان لا تؤخري. ان لم يكن قد مات هذا المسكين فانه

ولا شك يختصر.

- لن تخاطري بحياتك يا جسيكا.

- أفضل ان اخاطر بها لانقاذ حياة انسان، بدلاً من أن اقف مكتوفة

اليدين.

تدخل أحد الرجال، كان يسترق السمع اليهما، مقاطعاً:

- لدي حبل في السيارة تستطيع ان تربط به مؤخرة الشاحنة بجذع احدى الاشجار في الجانب الآخر من الطريق. بعضنا يتوزع على الطريق لتحذير السيارات القادمة، والبعض الآخر يقوم بملاء صندوق الشاحنة بعدد من الاحجار لتوازن مع ثقل السيدة.

نظر دان الى الرجل شزراً وهتف:

- اسمع يا هذا...

قاطعته جسيكا بسرعة:

- اعجبني اقتراحك ولكن اسرع بالتنفيذ.

بادر الرجل فوراً الى توزيع المهام على بقية الرجال. ثم اوما الى جسيكا للنعوذ الى الشاحنة وما ان همت بذلك حتى استوقفها دان قائلاً:

- أتدركين خطورة ما تفعلين؟

- أجل أدرك ذلك.

- انت تخاطرين بحياتك لأجل شخص قد يكون ميتاً.

- أعلم هذا لكن علي ان أتأكد. هذه الشاحنة تتأرجح بين الموت والحياة

ولن تتحمل ثقل وزنك.

- هذا صحيح، انما...

- هلا ساعدتني، فالوقت ليس في صالحنا.

- أرجوك، احترسي!

دفعها من الوراء برفق حتى طالت يدها الزاوية الحديدية للصندوق، فتأرجحت الشاحنة تحت ثقلها محدثة صوتاً مخيفاً دفع دان الى الصراخ لجلب المزيد من الأحجار لاعادة التوازن.

مرت الثواني ثقيلة احسها دان دهوراً، راحت جسيكا خلالها تسير على مهل وبحذر في الصندوق الضخم باتجاه مقصورة القيادة. العرق يتصبب منها غزيراً، وشعرت بخوف لم تحسه من قبل. لكنها لن تتراجع ابداً عن محاولة الوصول الى السائق، ولو سيكلفها ذلك حياتها. لم تأبه برائحة رذاذ الماشية المتبعثة من زوايا الشاحنة فقد كانت مشغولة بقطع تلك المسافة القصيرة والخطيرة في آن معاً. أمطار قليلة تفصلها عن السقوط الى قعر الوادي السحيق.

وصلت بعد جهد الى مكان السائق حيث المرحلة الاصح في محاولتها الخطيرة. فتسلقت سور الصندوق ووقفت على حافته لتجد نفسها في الهواء تنظر الى الهاوية، ودواليب الشاحنة الامامية ما زالت في دورانها محدثة صوتاً رهيباً.

احست بدوار مفاجيء وبجفاف شديد في حلقها، فالمناطق المرتفعة تشكل احدى نقاط ضعفها.

اما الآن فلا مجال للتراجع فالأمر يتعلق بحياة انسان، فاحكمت قبضتها على حديدة ناتئة في مقدمة صندوق الشاحنة واضعة رجلها باضطراب عند النافذة ومتحبة النظر الى الأسفل. ثم دفعت نفسها ببطء الى الامام تحاول قدر الامكان الاحتفاظ بتوازنها وضغطت على حلقة الباب حتى فتحت، فدخلت مقصورة السائق واتكأت بهدوء قرب الرجل المغمى عليه خلف المقود.

اغلقت جسيكا باب الشاحنة على ذلك يزيدا شعوراً بالامان، واستدارت ناحية الرجل تتحقق من اصابته. لاحظت جرحاً بالغاً في صدغه ينزف بغزارة، فمدت يديها لتفحصه برفق بحثاً عن جروح اخرى.

سمعت دان يناديها باعلى صوته:

- جسيكا... جسيكا؟

صاحت من الداخل مجيبة:

- اني بقرب السائق وهو ما يزال حياً، حتى الآن على الأقل. خلعت مندبليها الحريري الملفوف حول عنقها وربطت به رأس المصاب لتمنع سيلان الدم.

مرت الدقائق بطيئة، لكنها لم تعد تكثرث للوقت او تهتم للخطر المحقق بها. انصب اهتمامها على اسعاف المصاب شاكرة ربها على انه فقد وعيه كي لا يشعر بالأم المرح. علا صوت دان من جديد:

- ابقي مكانك، فسيارة المستوصف في طريقها الى هنا. ولم تمض دقائق حتى سمعت جسيكا منه السيارة مدوياً بالقرب من الشاحنة وصراخ دان:

- اسرعوا بركم، فالشاحنة تكاد تهوي.

تنفست جسيكا الصعداء، فالنجدة وصلت وعما قليل ستخرج المصاب من هنا ويتم نقله الى المستشفى.

- الزمي مكانك يا جسيكا، سيقومون بسحب الشاحنة نحو الطريق ولن يكون الأمر سهلاً.

امسكت بطرف المقعد، وثبتت رجلها في أرض الشاحنة ملقبة بثقلها فوق جسم المريض وهتفت بنبرة وجلة:

- اني مستعدة.

اهتزت الشاحنة لثوان بدأت بعدها في التراجع نحو الطريق، وعاد الخوف يدب في اوصالها، فاعمضت عينها حتى لا ترى ما يحدث. اقل خطأ وتنتهي الشاحنة في قعر الوادي.

فجأة توقفت الحركة وخيم هدوء غامض على المكان، فتحت جسيكا عينها لتجد نفسها محاطة برجال الانقاذ وقد اصبحت الشاحنة في وسط الطريق. سارع دان الى فتح الباب ليطمئن عليها:

- جسيكا؟

في صوته حنان لم تعده من قبل، ووجهه الشاحب يعكس اضطرابه وقلقه. قميصه الأبيض تلطخ بالبقع السوداء، وسرواله الرمادي يعلوه الغبار. مرور انامله المرتجفة على شعره بانفعال، واوشكت ان تمسك بتلك الانامل الواجفة وتحضنها براحتها لتطمئنها، لكن الوقت لا يسمح بذلك.

- عليك ان تساعدني يا دان، نجحت في وقف النزيف لكنه اصيب

بالاغراء ونبضه ضعيف.

احاطت ذراعاه بإخاصرتها بساعدها على الترجل من الشاحنة، واصدر تعليماته الى رجال الاسعاف بنقل المريض فوراً الى المستشفى.

تناولت حقيبتها تلحق بالمسعفين:

- سارافق المصاب الى السيارة.

- سألحقت بك الى المستشفى.

صعدت الى جانب المصاب وقبل ان يقفل رجل الاسعاف الباب، نظرت الى دان الواقف الى جانب سيارته مبتسماً، ولوحت له بيدها.

٧- لم تشعر بهذا القدر من الفرح والارتياح منذ أمد بعيد. انه تحدّثها الثاني لدان ترافورد ولكنه ما زال متفوقاً عليها بنقاط كثيرة. . .

لم يكن الوقت في صالح جسيكا، فالرجل الممدد في غرفة العمليات مصاب بنزيف داخلي، والمرضة المساعدة تشير الى ان نبضه يضعف بصورة مطردة. ما تحتاجه هو خمس دقائق اخرى قد تنقذ حياة انسان وتنشله من براثن الموت.

حتى دان الواقف بقربها لم يستطع ان يفعل شيئاً، فتفادى الاثنان النظر الى بعضهما البعض وحتى التكلم منهمكين في محاولة بائسة لانقاذ المصاب. ودأبت على الالتفات بين الحين والآخر الى جهاز التنفس بخف تدريجياً منذراً بوقوع الكارثة. بداها المغطتان بقفازين ملوئين بالدماء، لم تتوقفا عن العمل لثانية واحدة تحاول في احدهما ابقاء مجرى الدم مفتوحاً بين الاعصاب والقلب، وفي الاخرى معالجة التمزق الذي احدثه تحطم الاضلاع من جراء السقطة. لكن الوقت لا يرحم تمضي ثوانيه بسرعة مقرية المصاب من حثفه.

رفعت الممرضة كمامتها الملطخة بالدماء وهمست بياس وخيبة:

- لقد مات يا دكتورة نيل.

التفتت جسيكا بهلع الى الشاشة السوداء المعلقة قربها، تطلق صوتاً رتيباً متواصلاً معلنة توقف قلب المريض عن الحفقتان. لقد خذلها الوقت فلم يمهلهما دقائق خماً ليتصر في النهاية، فتراجعت مهزومة تغسل يديها. بينما اعطى دان تعليماته الى الممرضة المساعدة:

- لقد انتهى الامر، فاجري اللازم يا آنسة، واعلمي على ابلاغ ذويه.

لحق دان بجسيكا الى غرفة الملابس منادياً باسمها، لكنها لم تشعر برغبة

في التكلم معه، وضاعفت خطواتها تهرباً من مواجهته. تريد ان تختلي بنفسها ولو لدقائق معدودة تلتقط فيها انفاسها، فما ان وصلت الى الحمام حتى اقفلت الباب خلفها بقوة حابسة نفسها مع الحزن والحياة.

استعادت هدوءها رويداً رويداً من غير ان تتمكن من مساعمة نفسها على ما فعلته في غرفة العمليات. لا بد من انها اخطأت. لكن كيف؟ حدثت في يديها تستعيد مراحل العملية عليها تكتشف شيئاً، لكن ذاكرتها ابت التعاون تاركة اياها فريسة الندم والشروود. فجأة وهي تخلع ثوب الجراحة، تذكرت حادثة بسيطة سبقت صدور ذلك الصوت عن آلة التنفس، ولاحت صورة المصاب امامها من جديد تعيدها الى واقعهما الحزين. لقد غاب عن بالها ما رآته قبل ان تعلن تلك الآلة اللعينة الحخير المشؤوم. لقد تلوث قميصها وقفازاها يبقع من الدم المجمد في الوقت الذي بدأ الموضع يشق طريقه في صدر المصاب. مما يعني ان عنصر الوقت هو الذي قضى على المريض وليس مبضعها. لو كان بإمكانها ايقاف الزمن او اختلاس بضع دقائق اخرى فرجما كانت كافية لمنع قلب ذلك المسكين عن التوقف.

عند خروجها وجدت دان واقفاً في وسط الرواق قاطعاً عليها المرور. ما يزال مرتدياً ثوب الجراحة الملونة وعلى وجهه اكثر من سؤال:

- هل انت بخير؟

- آي... آي على ما يرام.

- هذه الامور تحدث دائماً يا جسيكا.

- أعلم ذلك.

- لقد فعلت ما بوسعك.

ادارت وجهها ناحية النافذة وعينها تكاد ان تدمعان:

- لكن... آه، علي ان املا بعض المستندات واتمها لمقابلة ذوي

المريض.

حط يده على كتفها تمنعها من التحرك:

- جسيكا... اياك ان تخاطري بحياتك مرة اخرى.

التقت نظراتها لثوان اعادت اليها تلك الدقائق الرهيبة التي قضتها في

الشاحنة المتأرجحة على حافة الوادي.

- انها سيده رائعة.

- الجميع هنا لطفاء معي، وأنا مسرورة بالعمل.

لم تسنح الفرصة لجسيكا للتحدث الى والدها على انفراد حتى بعد ظهر اليوم التالي. جلسا في غرفة الجلوس بينما تمددت اميليا في غرفتها، يتحدثها باعجاب عن المستشفى وعن جولته في ارجائها:

- اعترف يا جسيكا يأتي اعجبت كثيراً بالدكتور اوبريان. لم أعرف شيئاً بعد عن شريكه.

فوجئت جسيكا بعبارة ابيها واحتارت كيف تخفي انفعالها بحجة بتلثم:

- دان ترافورد؟ آه، انه... انه طبيب لامع وجراح ماهر، ويبدى اهتماماً بجراحة الاعصاب.

توقف جوناثان عن مراقبة الدخان المتصاعد من غلبونه والتفت اليها سائلاً باهتمام:

- صحيح؟ هل ستسنى لي مقابلته؟

- استبعد ذلك، فهو... (لاحظت علامات الحيرة على وجه والدها فاستدركت) هل اتصل به وادعوه لتناول فنان من الشاي؟

رحب جوناثان باقتراح ابنته هاتفاً:

- ولم لا؟

من حسن حظها انها نقلت الهاتف من غرفة الجلوس، فلم ير والدها ارتجاف يدها وهي تدير قرص الهاتف في غرفة نومها. تهادى الى مسمعا صوت انثوي هادى، النبرات، فأحست بقشعريرة تسري في جسمها وسالت:

- أهذا منزل الدكتور ترافورد؟

- أجل، لكنه في اجازة عطلة الاسبوع. بإمكانك الاتصال بشريكه الدكتور اوبريان.

قطع الخط قبل ان تسنح الفرصة لجسيكا للاستيضاح، فاعادت السماع الى مكانها وعادت ادراجها الى غرفة الجلوس بعينين تائمتين يعصرهما الألم. بادرها جوناثان بالسؤال:

- هل سيأتي؟

تهادت على مقعدها شاردة اللذهن وتمتمت:

فارتأت ان تقضي ليلتها عند بيتر وفيقيان.

جلس على كرسي قريب من الطاولة فوضعت فنجان القهوة امامه
وجلست في مواجهته.

- يبدو ان ميجان تمضي معظم عطلتها مع فيقيان، بدلاً من ان تمضيها
معك.

- هذا لاني منهمكة بالعمل هذه الايام وفيقيان مولعة بالاطفال. عدا ان
بقائها مع فيقيان كان الحل المناسب في الوقت الذي اضطر فيه للبقاء في
العيادة.

- لا شك في ذلك.

لم تعجبها لمجنه الساخرة، فانتفضت بانفعال سائلة:

- الى ماذا ترمي يا دان؟

- اعتقد ان جلب ميجان الى هنا كان خطة مدروسة.

- حقاً؟

- اجل، فيقيان وبيتر لم يرزقا اولاداً وميجان فتاة نائمة. وان نحن

جمعنا الحائزين معاً نكون عائلة مثالية.

- لكنني يا دان...

قاطعها وكأنه يدرك ما يجول في خاطرها:

- لن أضيف كلمة أخرى ان كان هذا ما تحشيه. كل ما أريده هو التأكد

من صحة ظني.

تململت جيكا في مقعدها:

- كيف عرفت؟

- الأمر في منتهى البساطة، فيتر لم يترك مناسبة الا وتحدث فيها عن

ميجان وعن الاوقات الممتعة التي يقضيها معاً، وهذا ما دفعني الى

التساؤل عن حقيقة المدة التي أمضتها معك. أنها أدلة كافية على ما حاكت

يدك.

- حل رائع لكلا الطرفين. ألا توافقني الرأي؟

- بكل تأكيد، انما لا يغرين عن بالك استحالة التلاعب بمشاعر العالم كما

يجلو لك.

تعلم انه على حق في ما يقول، لكنها لم ترد الاعتراف بذلك واحست

بكرهها له فأجابته بعناد:

- انه الحل الافضل.

افرغ فنجانه دفعة واحدة ودفعه بعيداً عنه، ثم تطلع اليها ساخراً:

- وماذا سيحصل في حال فشلت خطتك الذكية؟

- سيخيب ظني طبعاً.

- والصغيرة المسكينة سترسل في اول قطار الى الميتم الذي جاءت منه،

كطرد بريدي غير مرغوب فيه.

- لا تتكلم عنها بهذه الطريقة.

- واجهني الحقيقة يا جيكا. جعلت الصغيرة تدرك معنى الحرية وترى

ما يوجد خارج جدران سجنها. أعدتها الى اجواء العائلة التي عرفتها مرة

واحدة منذ زمن بعيد، ومن الاجحاف ان تعيدها من جديد الى واقعها

المرير في الميتم.

استدارت لتواجهه، لكنها فوجئت به وقد وقف خلفها مباشرة،

فاستندت الى الحائط تبرر موقفها:

- لقد حسبت حساب كل شيء. ان اخفقت خطتي فأنا من مستحمل

تأنيب الضمير ولا احد غيري.

- يسعدني سماع ذلك لاني للمرة الاولى لن اشاركك هذا العبء.

أجابته بحدة من غير ان تتمكن من السيطرة على ارتعاشها:

- لم أتوقع ان يشاركني احد ذلك.

- انت جميلة حين تغضبين!

- اصمت. ارحل من هنا وأتركني وشأني.

- هل يمكنك ان اخفف من تأنيب ضميرك؟

رفعت وجهها بثقة:

- ضميري مرتاح.

- حقاً؟ لن يظل طويلاً على هذه الحالة.

اجابت بسرعة تحاول مقاومة نظراته المزعجة:

- ارحل قبل ان...

لم تقو على اكمال تهديدها، فقد غانقها بحرارة طال لهيها كل جسمها.

حاولت الافلات لكن يده انسلت الى عنقها تمنع عليها الحراك، فوضعت

راحتيها على صدره تجاهد في الامتناع عن التجاوب . لكن مقاومتها لم تدم طويلاً واختلطت دقات قلبها بعدما فقدت السيطرة على احساسها . لكنها ما ان افلتتها من طوق ذراعيه حتى احست بجسامة ما ارتكبه .
- لم تكمل عبارتك يا جسيكا .

احست بالاهانة التي حملها جلته ، فتراجعت خجلة تجاهد في السيطرة على اضطرابها :

- من الأفضل ان . . . ان تذهب .
تقدم منها وكأنه لم يسمع ما قالت هامساً في اذنها :
- اهذا امر ؟

احست بشحنات كهربائية تسري في عروقها دفعتها الى دفن وجهها في صدره . انه سيد الموقف ويدرك تماماً ما يفعله ، فهتفت بصوت متهدج :
- أرجوك يا دان . . . أرجوك توقف .

سلط عليها نظرات سافرة ، وقال وهو يترك يديها المرتجفتين :
- حسناً ، كان الامر يستحق المحاولة .

خرج من غير ان يزيد كلمة أخرى ، وبقيت جسيكا مسمرة حيث تركها ، تلعن نفسها على الضعف الذي اظهرته مع هذا الطبيب المراوغ . انها تشعر بجمل هائل اليه وقد يكون حياً ، لكنه لا يشكل مبرراً لاستسلامها له بهذه الطريقة السهلة . اتكأت على الكرسي الخشبي خلفها تنكهن برأيه فيها بعد الذي حصل منذ دقائق . لم تفكر يوماً ان تنافس فتاة أخرى على قلب رجل ، وخاصة سيلفيا سامرز . وان لم تحكّم أكثر بمواطنها في المستقبل فان دان سيظن انها حقاً تسعى لانزاعه من حياة سيلفيا .

في الأيام التي تلت ، انهضت جسيكا بالعمل فلم تسنح لها الفرصة لتتهم بمشاكلها العاطفية ، لكن الشيء الوحيد الذي لم تستطع التخلي عن التفكير به ، كان قضية ميغان وكلام دان عن امكانية فشل خطتها . فعملة الصغيرة شارفت على الانتهاء من غير ان تغافها فيقيان برأيا فيها .

ارتأت التحقق من حقيقة الأمر بنفسها فدعت ميغان الى منزلها لعضبة السهرة ، وبعد العشاء انتقلنا الى غرفة الجلوس حيث تمددت جسيكا على الاركة الطويلة وطوقت الصغيرة بذراعيها مستفهمة بحنان :
- كنت عابسة الوجه طوال الوقت ، هل هناك ما يزعجك ؟

اجابت ميغان من غير تردد ، وقد ازداد تجهم وجهها :
- سأغادر هذا المكان غداً .

- هل استمتعت بمعطنتك ؟
اغرورقت عينا الصغيرة بالدموع :
- آه كثيراً لكن . . . كم اتحنى ان ابقى هنا الى الابد .

رفعتها جسيكا بذراعيها تضمها الى صدرها برفق وتمسح دموعها :
- ما الذي اعجبك اكثر في هذه المعطلة ؟

- كل شيء ، لكن صداقة فرانسيس تبقى الأفضل ، فهي حقاً نعم الصديقة ، واتفقت معها على تبادل الرسائل و . . . آه لقد نسيت العمدة فيقيان والعم بيتر . لقد احببتها كثيراً وكأنها والداي .

- هل انت متأكدة من احساسك هذا ؟
اسندت الطفلة رأسها الى كتف جسيكا وطوقت عنقها بذراعيها :
- ليتني ابقى هنا ولا اعود الى ذلك الميتم الكريه . ساشتاق اليهم واليك انت ايضاً .

ضمتها جسيكا الى صدرها تاركة شعر الصغيرة الناعم يخفي دموعاً ترفرت على وجتها .

- وأنا ايضاً ساشتاق اليك ، سأخذك الى سربرك .
ادخلت جسيكا الصغيرة الى غرفتها ، وبعد ان تأكدت من انها غفت نزلت الى الطابق السفلي وتسللت من باب المطبخ الى الحديقة متجهة الى منزل آل اويريان . لم تقرر بعد كيف ستفاح بيتر بالامر ولكنها لن تلغي خطتها وتترك الأمور كما هي عليه .

ما زالت مكتبة بيتر مضاعة ، فاتجهت على مهل الى نافذة المكتبة ووقفت تسترق النظر الى الداخل . فيقيان بين ذراعي زوجها تشهق بالبكاء كمن حلت به مصيبة . لم يسبق ان رأها بهذه الحالة فالصقت اذنها بالنافذة تحاول التنصت الى ما يدور بين الزوجين .

- لا يمكنني ان ادعها تعود يا بيتر .

اكتفت جسيكا بهذا القدر من التجسس خشية ان يتبه احدها لوجودها ، وقلبت راجعة الى مسكنها . لا بد وان فيقيان تعني الطفلة بكلامها ، فاعلقت الباب خلفها بهدوء وجلست في غرفة الجلوس تتوقع ان

يقرع بابها بين اللحظة والاخرى.

وحدث ما توقعته، فبعد نصف ساعة سمعت قرعاً خفيفاً على باب المطبخ فسارعت الى اشعال النار تحت غلاية الماء قبل ان تفتح الباب.

ابتسمت للزائرين مرحبة:

- تفضلاً، كنت أحضر فنجاناً من الشاي وسعدني ان تشاركني.

- سنشربه معك هنا، في المطبخ.

حضرت الاكواب بينما جلس بيتر وفيغيان الى الطاولة ساكتين.

نجحت فيغيان في ازالة آثار الدموع عن عينيها، من غير ان تفلح في اخفاء اضطرابها عن جسيكا وهي تقدم لها كوب الشاي.

- جسيكا... في ما يختص بميجان...

كتمت جسيكا انفعالها وسالت متصنعة جهلها سبب زيارتها:

- ما بها ميجان؟

سارع بيتر الى الاجابة بلهجة حازمة:

- نرغب بتبنيها.

انفجرت اسارير جسيكا فجأة وهتفت بسرور:

- يا له من فرارا!

لم يلاحظ اي من الزوجين وقع الخبر على جسيكا، واردفت فيغيان مستوحشة:

- هل هناك من قد يعترض على ذلك؟ اعني... احد اقربائنا أو اي وصي عليها؟

- لن يعترض احد يا فيغيان.

التفت بيتر الى زوجته مبسماً:

- في هذه الحالة لا اعتقد اننا سنواجه اية مشكلة.

ارادت فيغيان ان تتأكد من ان كل شيء سيكون على ما يرام فقالت مقترحة:

- علينا بالتحدث الى ميجان أولاً، فقد لا تروق لها الفكرة.

- سأناديها حالاً، فأنا اعرف ميجان وهي ولا شك ما زالت مستيقظة.

اوقفها بيتر قبل ان تتخطى باب الغرفة:

- قبل ان تفعل ذلك يا جسيكا، تود ان نخبرك بما قررنا ان نفعله. لا

نريدها ان تعود الى جوهانسبرغ غداً فبإمكانها اكمال سنتها الدراسية هنا في لوزفيل.

علت شفقي جسيكا ابتسامة عريضة واجابت موافقة:

- اني واثقة من امكانية تدبير ذلك. فلوالدي صلوات وثيقة مع احد الناقدين هناك، وبإمكانه مساعدتنا.

تبادل الزوجان نظرات الرضى قبل ان تلتفت فيغيان الى جسيكا:

- هل يمكننا التحدث الى ميجان الآن؟

- سأتي بها في الحال.

انحنى جسيكا فوق سرير الطفلة هامة برفق:

- ميجان حبيبي، يسعدني انك لم تنامي بعد. بيتر وفيغيان يودان التحدث اليك.

لم تجب جسيكا على اسئلة الصغيرة وهي ترتدي خفيها بسرعة واعدة اياها بأنها ستعرف كل شيء عما قريب. وامسكتها بيدها ونزلتا معاً الى المطبخ، حيث تبادلت الصغيرة مع الزائرين نظرة سريعة، التفتت بعدها فيغيان نحو زوجها سائلة:

- هلا اوضحت الامر لميجان يا بيتر؟

رد الدكتور اوبريان بحنان:

- سأترك الامر لك يا عزيزتي.

فتحت فيغيان ذراعيها ونادت ميجان بتودد:

- تعالي يا حبيبي.

هرولت الطفلة تطوق عنق عمته بذراعيها الصغيرتين بينما اردفت فيغيان بتأثر:

- ما رأيك بالبقاء هنا معنا؟

- تعين معك ومع عمي بيتر؟

- اجل يا حبيبي.

لمعت عينا ميجان فرحاً مستفهمة:

- بصورة دائمة؟

- اجل، فنحن نرغب بأن تكوني ابتناً.

لم تصدق الطفلة اذنيها فهتفت:

- أتريدان ان تبيناني؟

- أجل... (ولاح طيف الشك في عيني فيفيان للحظات ثم اكملت شرط ان تكوني راغبة في ذلك أيضاً).

دمعت عينا الطفلة وغمرت فيفيان متممة:

- أجل، أجل أرجوك!

اختلطت دموع السيدة اوبريان بدموع الصغيرة وضمت الطفلة بقوة الى صدرها تدفن وجهها في الصفائر الناعمة:

- ميجان، حبيبي لقد ادخلت السعادة الى قلوبنا بعد سنين طويلة من الغم والتعاسة.

وقفت جسيكا تنظر الى المشهد المؤثر بعينين تشعان فرحاً. فحفظتها لقيت النجاح الذي توقعته لها وأفلحت في تكوين أسرة سعيدة.

رفعت الطفلة رأسها تسأل فيفيان:

- أهذا يعني اني لن أعود الى جوهانسبرغ غداً؟

رد بيتر بحزم:

- من الآن وصاعداً ستبقين معنا في لويزفيل.

قفزت الطفلة هاتفة بفرح:

- آه، كم أحبك يا عمي فيفيان، وأنت أيضاً يا عمي بيتر!

- والآن يجب ان نخلدي للنوم يا ميجان وفي الصباح الباكر سأني لاصحبك الى منزلنا.

أجابت الطفلة مطيعة:

- حسناً، تصبحون على خير... واشكركما على تبنيكما لي.

لم تعد جسيكا قادرة على كبت دموعها، فاشاحت بوجهها ناحية النافذة تاركة لعينيها حربة التعبير عن فرحها وتأثرها. وما ان غابت الطفلة عن ناظري فيفيان حتى اتكأت على ذراع زوجها متممة:

- والآن يمكنني ان استرسل في البكاء.

اعترض بيتر محذراً:

- لا لن تفعل، فقد يكبت كفاية هذه الليلة.

مسحت عينيها باناملها موافقة:

- أظنك على حق يا بيتر، انا أسفة يا عزيزي.

انحنى الدكتور اوبريان أمام زوجته واحتواها بذراعيه، ومرة أخرى اشاحت جسيكا بوجهها عن مشهد عاطفي، انما من نوع آخر.

- سأتكلم الليلة مع والدي وسيطلعني على نتيجة اتصالاته في الصباح. امسك بيتر بيد زوجته وتوجها نحو الباب:

- حسناً، الامر بين يديك الآن يا دكتورة نيل.

اغلقت جسيكا الباب خلفها، وما ان خلعت بنفسها حتى راحت تقفز فرحاً وزهواً، وهرعت الى غرفة الجلوس لتتصل بوالدها.

وفت فيفيان بوعداها في اليوم التالي، وجاءت في ساعة مبكرة لاصطحاب ميجان ومساعدتها في نقل جوائجها الى منزلها الجديد. وما ان

اقلعت جسيكا الباب خلفها حتى رن الهاتف في غرفة الجلوس وكان المتحدث والدها.

- انباء سارة يا جسيكا، اوراق التبيني ستكون جاهزة غداً وسترسل في اسرع وقت ممكن الى المحكمة في لويزفيل.

احتارت جسيكا لشدة فرحها كيف تشكر والدها، واقفلت السماعة بسرعة وتوجهت مباشرة الى العيادة حيث دخلت على الفور غرفة بيتر لتعلمه بالامر.

تراخى الدكتور اوبريان على كرسيه مبتسماً:

- شكراً يا جسيكا (ولمعت عيناه ببريق غريب مردفاً) لم تبد عليك علامات الاستغراب ليلة البارحة حين اتبانك بعزمنا على تبني ميجان

وكأنك على علم بقرارنا.

ادركت جسيكا القصد من عبارته، فاجابت بصدق متعجبة النظر في عينيه:

- بعد ان وضعت اولفيا طفلها، وخلال تبادل الحديث مع فيفيان اكتشفت لديها توقاً الى ان يكون لها طفل.

- لذلك تعمدت جلب ميجان الى هنا، وكل ما يحدث الآن هو نتيجة خطة رسمتها بنفسك!

- لقد راهنت بالرغم من فداحة الخسارة، ولكنني في المقابل كنت أعلم اني لو نجحت سأدخل السعادة الى قلوب ثلاثة.

- انت انسانة مميزة يا دكتورة جسيكا.

١٠٥

لنحول في ٢٢

لنحول في ٢٢

١٠٤

ونفض عن كرسبه ليقف في مواجهة النافذة، من غير ان ينبجح في اخفاء دموعه عنها. وسادت الغرفة دقائق صمت طويلة احتارت جسيكا خلاها ماذا تفعل، أتبقى ام تخرج؟ لكن صوته علا من جديد بنبرة حزينة: - طوال السنين المنصرمة حاولت وفيغيان ان ننظاها امام بعضنا وامام الناس بعدم اكرائنا بانجاب الاولاد، وأظن اننا نجحنا في ذلك، الى ان دخلت ميجان حياتنا. ابتسامة واحدة منها كانت كافية لتصب الزيت على نار كنت أخال سعيها قد همد في قلبينا. ابتسامة واحدة كشفت لنا الفراغ الهائل الذي تعاني منه حياتنا. كلنا وقعنا في حب ميجان منذ النظرة الأولى، وهي بادلتنا الشعور ذاته في وقت قصير وكأنها فرد من العائلة. لا أدري كيف أشكرك على صنعك هذا يا جسيكا.

- لا لزوم للشكر يا دكتور اويريان لأنه سيزيد من احراجي.

ولم تعطه الفرصة ليفوه بكلمة اخرى وخرجت عائدة الى عيادتها. لم تشعر بهذا القدر من الفرح والارتياح منذ أمد بعيد. لقد كسبت الرهان واعادت الحياة الى منزل بيتر وفيغيان، وخلصت تلك الطفلة من براثن ذلك الميتم الكريه. انه تحديها الثاني لدان ترافورد ولكنه ما زال متفوقا عليها بنقاط كثيرة...

ما ان مضى على دخولها عيادتها دقائق حتى فوجئت بدان واقفاً كعادته قرب الباب:

- أه، الدكتور نيل صانعة الاعاجيب. ضربة من عصاك السحرية قلبت عائلة اويريان رأساً على عقب.

- الا تشاركها سعادتيا يا دان؟

اقر فمه عن ابتسامة هازئة هائفاً:

- وكيف لا؟ لكن يجب ان تشكري حسن ظالعك على ان الامر انتهى الى هذه النتيجة، والا لكنت الطفلة الآن في طريقها الى حياة تكره كل لحظة فيها وتلاحقك لعنتها الى الابد.

اجابت هدهد وعيناها لا تفارقان عينيه: -

- لقد شكرت حسن ظالمي على شيء آخر أيضاً، وهو انه لن تمنح لك الفرصة لتزدد على مسمعي ذلك التحذير الذي ما برحت تزدده.

- انك تسيئين فهمي يا جسيكا، فأنا لا أقلل من أهمية ما قمت به. لكن

رهانك كان خطيراً.

- انظن اني اغفلت بخطورته؟ لقد امضيت ليال طويلة اصارع الخوف والهواجس، ناهيك عن القلق من امكانية فشل خطتي. لكنها في النهاية نجحت. فارجوك احتفظ من الآن وصاعداً بملاحظاتك الساحرة لنفسك. - مهنتك كطبيبة تفرض عليك الاعتناء بحالة مرضاك الجسمية وليس حالتهم النفسية. وان كنت ستجرفين في المستقبل وراء عاطفتك في تعاملك معهم، فأنا اقترح ان تقلعي عن مزاولتك الطب وتبחי لنفسك عن مكتب تعالجين فيه المشاكل الاجتماعية والنفسية لدى الناس.

انفضت جسيكا بحنق ظاهر وهضت بملء صوتها:

- انك على حق، فقد أقوم بذلك قريباً.

التفت نظراتها للحظات، ثم طوق نحصرها بذراعيه مقرباً اياها منه بقوة كادت تمتع عليها النفس، وقال بابتسامته المعتادة:

- أتعلمين يا جسيكا؟ تبدين اكثر اغراء عندما تغضين.

همت بالكلام لكنه أحنى رأسه وعانقها، فحاولت التملص من ذراعيه لكنه امسك بيديها وراء ظهرها ثم راح بحنكة الخبير يمس بأسمها قرب اذنيها. ولم تعد قادرة على المقاومة فاستسلمت راضخة الى تلك الكتلة من اللهب.

سما طرقتاً على الباب فافتتها دان بسرعة واستدارت ناحية مكتبها تحاول اخفاء احمرار وجنتيها عن عيني الممرضة هانسن وهي تدخل الغرفة لتجمع ملفات المرضى:

- أه، ما زلتها هنا؟

اجاب دان هدهد حسدته عليه جسيكا المضطربة:

- كنا على وشك الرحيل.

- لقد اتصلوا بك من المستشفى يا دكتور ترافورد، فالسيده روكس تعاني من ألم حاد في الصدر وصعوبة في التنفس.

- ساذهب في الحال (وتوقف عند الباب ملقياً نظره أخيرة على جسيكا) سأراك لاحقاً.

وقفت الممرضة عند الباب ترقب دان بيتعد في آخر الرواق، وقالت: - بالرغم من صغر سنك كطبيبة، فقد فرضت نفسك في هذا المكان ولما

يخص على وصولك اكثر من ثلاثة شهور. لقد حظيت باعجاب الجميع وتقديرهم، مما يسبب كدراً للبعض في هذه المدينة الصغيرة. اجابت جسيكا وهي تدقق في محتويات حقيبتها الجلدية:
- لقد بذلت ما في وسعي لأقوم بواجبي كاملاً.
- انت تقومين باكثر من ذلك. تعاملين الناس بطريقة مختلفة. أي انك تنظرين اليهم كيشر وليس كسلعة. لتأخذ الدكتور اوبريان مثلاً...
قاطعتها جسيكا تدافع عن رجل بدأت تعجب به ويعمله:
- بيتر اوبريان طبيب رائع.
ردت المريضة مبتسمة:

- لا مجال للمجادلة حول هذه النقطة. لكن انظري ما صنعت به. لم اره في حياتي فرحاً كما كان اليوم. كلنا يعرف حالة زوجته وقصة اصابتها بالعقم، لكن لم يأت احد على ذكر ذلك لاننا لاحظنا ان حرمانها من الاولاد لا يسبب لها أية مشكلة. الى ان جئت واكتشفت حاجتها فلم تغني مكتوفة الأيدي مثلاً، بل حاولت المساعدة وأفلحت.
- أنسة هانسن انك تحجليني. لقد ساعدتني الظروف والا لما نجحت في مساعي. فلا يمكنني ان اطالب الآخرين بتبني طفل، فمن المرجح انهم سيرفضون طالين مني عدم التدخل بأمور لا تعني. لكن صدف اني أعرف طفلة تدعى ميجان تشاركها الحاجة نفسها. أما الباقي فقد تحكمت به العاطفة وحدها.

- ما زلت اعتبر عملك رائعاً ولن أغير رأيي.

وخرجت من الغرفة بينما امضت جسيكا بضع دقائق في ترتيب مكتبها قبل أن تعود الى منزلها. اخجلها كلام المريضة هانسن عن عملها واحست بالخروج وتمنت في قرارة نفسها لو يجذو دان جذو الآخرين ويتخل عن ملاحظاته الجارحة.

٨- نسيت كل ما حولها ولم تعد تكثرث بماضيه أو بسمعته. انها تريده بالرغم من مساوئه وغيوبه. تريده لها في هذه اللحظة وفي كل لحظة...

كانت جسيكا تقوم بجولتها الاسبوعية في المستشفى، عندما طلب منها عبر المذياع التوجه فوراً لمقابلة الدكتور اوبريان في العيادة. ادركت على الفور ان هناك طارناً، فابدلت ثيابها وقادت سيارتها بسرعة جنونية غير مبالية بقوانين السير. وخلال دقائق وصلت أمام العيادة وتوجهت مباشرة الى مكتب بيتر لتجده مجتمعاً الى دان. ما ان اغلقت الباب خلفها حتى بادرها الدكتور اوبريان موضعاً:

- تلقيت مكالمة هاتفية من ممرضة خاصة تعمل في مقاطعة فنلدا، اخبرتني ان سيدريك كابوفو زعيم المقاطعة مريض ويحتاج لرعاية طبية عاجلة، ونظراً لسنة ارتأت المريضة عدم نقله من منزله الى المستوصف الذي يبعد عنهم حوالي العشرة كيلومترات.

سأله دان باهتمام:

- مما يشكو يا دكتور؟

- تظن المريضة انها الزائدة الدودية. الوقت يمر بسرعة واقترح ان ترافقك جسيكا.

- بلزمتنا ساعتان او ثلاث لنصل الى هناك في السيارة، فانت تعلم حالة الطرقات في تلك المنطقة.

- قد اطلب من برنارد ايضالكم بطائرتي، لكنها لا تتسع لكثر من راكبين.

تدخلت جسيكا للمرة الاولى منذ وصولها مقترحة:

- بإمكانني قيادة الطائرة ان وافق برنارد على اعارتي اياها.

التفتنا اليها باندهاش وذهول، وتقدم دان منها سائلاً بسخرية:

- هل تجيدين قيادة الطائرة؟

ردت جسيكا بالنبرة نفسها:

- أجل وأحمل اجازة في الطيران. هل تود رؤيتها؟

قاطعهما بيتر قائلاً:

- سأتصل بالزرعة وان لم احظ ببرنامج سادع اوليفيا تبلغه الرسالة.

تناول بيتر سماعة الهاتف على الفور، وما هي الا دقائق قليلة حتى

استدار ناحيتها منسياً بارتياح:

- سيهيء برنامج الطائرة لتكون مستعدة للاقلاع فور وصولكما. وفي

هذا الوقت سأتصل بالمرضة في فندا لاتخاذ التدابير اللازمة لاستقبالكما.

هتف دان بحزم متوجهاً نحو الباب تتبعه جسيكا:

- حسناً، فلتتحرك بسرعة قبل فوات الأوان.

وصلت سيارتا الطبيين معاً الى المزرعة، حيث كان برنامج في انتظارهما

على المدرج الضيق بقرب طائرة صغيرة مخططة باللونين الاحمر والابيض. لم

يحاول برنامج الاستفسار عن تفاصيل المهمة، مكتئباً بإرشاد جسيكا الى

الخط الواجب اتباعه اثناء تحليقها. ثم تقدم من دان الواقف بعيداً وربت

على كتفه بمأزحاً:

- تشجع يا دان فان كانت جسيكا تجيد التحليق كاجادتها الطب،

فستكون في ايد امينة.

- بامكاني التفكير ياماكن اخرى اكثر اماناً.

سخرت جسيكا منه معلقة:

- يا لك من جبان.

- وكيف لا أخاف ومصيري بين يدي امرأة؟

تجاهلت عبارته والتفتت نحو برنامج مصافحة:

- شكراً جزيلاً على مساعدتك يا برنامج.

وتوجهت بخطى ثابتة نحو الطائرة وجلست خلف المقود، بينما تهادى

دان على المقعد المخصص للركاب الى جانبيها. اشارت اليه بربط حزام

النجاة قبل ان تضع جهاز الاتصال على اذنيها، فانصاع سائلاً بقلق:

- هل انت متأكدة مما تفعلين؟

ادارت المحرك ضاحكة:

- لا تخش شيئاً فستصل الى هناك كتلة واحدة.

- حياً او ميتاً؟

- حياً كما اتمنى، والان هلا اقلعت عن المراح؟

علا صوت المحرك مدوياً وبدأت الطائرة تهتز بهما، بينما اجرت جسيكا

اتصلاً تجريبياً مع اقرب قاعدة الى المزرعة، ثم زادت من طاقة المحرك

لتنطلق الطائرة بهما في سرعة هائلة على المدرج المعبد. وما ان اشار عقرب

ساعة السرعة الى الحد الاقصى، حتى ارجعت جسيكا المقود الى الورا

وارتفعت الطائرة الصغيرة عن الارض منطلقة كالسهم نحو السماء الزرقاء

الصفافية.

تمتم دان وقد استند رأسه الى حافة المقعد:

- لا بأس يا جسيكا.

شغلها الفرح بالتحليق من جديد عن الانتباه الى تعليقاته، فبالرغم من

كرهها للأماكن العالية لم يزعجها الطيران ابداً، بل اتمت قبل قدومها الى

لويزفيل ما يقارب المئتي ساعة من التحليق بطائرات مختلفة الاحجام

والانواع.

الجو صحو ومناسب لرحلة كهذه، لا غيوم ولا رياح بل امتداد ازرق

نقي تموج في وسطه أشعة شمس ساطعة. اتجهت الى الشمال - الشرقي

تستدل على خط تحليقها بواسطة خارطة صغيرة معلقة في سقف الطائرة.

وان سارت الامور طبيعية فستحط في أرض فندا بعد ثلاثين دقيقة من

الآن.

خرقت جو الصمت المخيم عليهما منذ الاقلاع سائلة:

- هل لديهم غرفة للجراحة في المستوصف؟

- لا اعتقد ذلك، بل لديهم ما يكفي للحالات الطارئة.

- ماذا ستفعل اذا تعذر علينا نقل المريض؟

- عندها سنجري العملية في المنزل.

استمت بسخرية معلقة:

- يبدو انك تحمل غرفة الجراحة في حقيقتك!

- ماذا تعنين بكلامك هذا؟ تعلمين جيداً اننا قد نضطر الى اجراء

العملية بما قد نملك من تجهيزات بدائية.

تحلّت عن مراقبة اتجاهها لتواجه عينيه الغاضبتين:

- أعلم ذلك. لكنني اردد ما قلته لي مرة، اذكرك؟

- آه فهمت. تقصدين ملاحظتي لك لعدم نقلك اوليفيا الى المستشفى
اثناء ولادتها. أليس كذلك؟

- أجل.

- لكن الظروف مختلفة الآن.

- لا ارى أي اختلاف بين ما قد نضطر للقيام به وما قمت به مع اوليفيا.

لا بل المخاطرة اكبر بكثير هذه المرة.

اجاب بتململ ظاهر:

- دعينا من المناقشة الآن.

- حسناً، لن أتكلّم من الآن وصاعداً.

- هل أنت غاضبة؟

- لست غاضبة يا دان. لكنني لا أفهم تحديدك للحالة الطارئة.

- الأمر في غاية البساطة. عندما تصادفك حالة كالتّي ستواجهنا بعد

قليل فتسمى حالة طارئة. أي بإمكانك التصرف بما هو متوافر
لديك.

- حالة اوليفيا كانت من الحالات الطارئة التي تتكلم عنها، فتصرفت بما
توافر عندي من امكانيات طبية، ولا أفهم لماذا انفعلت يومها.

- لأن في مثل هذه الحالات، يحتفظ الرجال ببصيرتهم اما النساء...

قاطعت ضاحكة بالرغم من حنقها:

- لا تكرر علي هذا القول ثانية. انت تخيب ظني يا دان، فأنا لم أتوقع ان

تكون من الذين يميزون بين الجنسين.

- كل رجل يخفي في داخله نزعة للتمييز. انما ليس هذا ما قصدته.

النساء ينظرون الى الأمور بمنظار العاطفة وانت اصدق مثال على
ذلك.

نواب من الصمت نظرت خلالها الى لوحة القيادة، ثم علقت
ببرودة:

- لو كانت يداي حرتين في هذه اللحظة، لما توانيت عن صفعك.

قهقهه دان معلقاً:

- لديك يدان ناعمتان يا جسيكا وتسرنني ملامستها، غاضبة كنت أم
لطيفة.

ايقت انها عاجزة عن مجازاته في الكلام ونظرت اليه
بغضب:

- من الأفضل ان تساعدني في العثور على مدرج الهبوط قرب
المستوصف، فلا شك في انه يقع في مكان ما هنا.

حطت الطائرة الصغيرة بنجاح في المدرج الوحيد في فندا، وما ان ترجلا

منها حاملين حقيبتيهما الطبيتين، حتى هروا في اتجاهها رجل أسود قدم

نفسه على انه باتريك كابوفو شقيق الزعيم المريض، فقادها على جناح

السرعة الى سيارته السوداء الفخمة لتنتقل بهم الى منزل آل كابوفو.

فوجئت جسيكا لدى وصولهم بالبساطة الغالبة على منزل الزعيم وهو

الذي يعد من أهم شخصيات المقاطعة. فقد تمّد على سرير قديم في وسط

منزل خشبي اشبه بالكوخ، ومقسم الى مطبخ وغرفة جلوس وغرفتي نوم،

ومبني على الطريقة القديمة واثاثه شبه بدائي، لكنه نظيف ومرتب وسقفه

المكون من القش وأغصان الشجر، يبعث ببرودة منعشة بالرغم من الحر

الشديد في الخارج.

بدا الزعيم بقماته المديدة وجسمه الضخم ككتلة من الشحم معدة

للشواء، راح يتلوى من الألم وقد غطى الزبد فمه وجحظت عيناه، يضغظ

بيديه على حافتي السرير مطلقاً أتبناً خافتاً. بدا واضحاً انه من الذين يولون

بطونهم أهمية بالغة حتى اوشك السرير ان يتحطم تحت ثقله.

اقتربت منها امرأة سوداء وقدمت نفسها على انها الأنتة راقيل ممرضة

الزعيم الخاصة. وهمست في اذن دان عدة كلمات توجه على اثرها نحو

السرير وجثا بالقرب منه واضعاً يده على جبين الزعيم الملتهب.

- الألم يا دكتور، انه يكاد يقتلني.

- أعلم انه ألم رهيب ايها الزعيم لكنه سيؤول بعد قليل.

مد الزعيم يدا مرتعشة ناحية جسيكا سائلاً:

- من هذه السيدة؟ زوجتك يا دكتور؟

رمق دان جسيكا بنظرة ساخرة مجيئاً:

- كلا أيها الزعيم ، فانا لست متزوجاً . انها الدكتور جسيكا وقد جاءت لتعاونني .

- على كل رجل ان يتزوج .

لم يعلق دان على كلام الزعيم ، بل امسك بيد جسيكا واوما للممرضة بأن تبعها الى خارج الغرفة .

تطلعت جسيكا الى وجهه العابس مستوضحة :
- ماذا ستفعل يا دان ؟

- لا نستطيع نقله من هنا فالوقت يمر بسرعة ، عدا عن ان حياته ستكون بخطر ان نحن حركناه قيد أثملة .

التفتت الى غرفة المريض ثم استدارت نحوه بذعر :
- هل ستجري العملية في تلك الغرفة ؟

- ليس لدي خيار آخر (والفتت الى الممرضة رافيل يعطيها تعليمات سريعة) سنحتاج الى طاولة لوضع الزعيم عليها ، ضوء قوي ، ماء ساخن ، والكثير من الحرق المعقمة . بادرت الممرضة الى تنفيذ التعليمات بسرعة مذهشة ، بينما تدبر شقيق الزعيم أمر المصباح وأوصله الى بطارية السيارة . وبعد فترة وجيزة حمل عدد من القرويين الزعيم السمين الى طاولة مستطيلة فنولت الممرضة التحضير للعملية .

نظر الزعيم بقلق الى الطبيين يتفحصان آلات الجراحة وقال مخاطباً دان :

- اشفني وساعطيك عشر بقرات مهراً لعروسك .

ضحكت جسيكا في سرها لالحاح الزعيم على فكرة الزواج ، لكن دان بقي على عيونه و اجاب وهو يتفحص قوة الضوء :

- لا تنس ان تقاليدنا تختلف ايها الزعيم .

- هناك امور لا يختلف رايان حولها . يجب ان يكون لكل رجل زوجة (والفتت نحو جسيكا مستطرداً) ولكل امرأة رجل . انها سنة الحياة .

- عليك بالاقلاع عن الكلام الآن ايها الزعيم . ستخلد الى النوم لفترة ، وعندما تستيقظ ستكون أفضل حالاً .

تمت الزعيم باللغة المحلية كلمات لم يفهمها غير الممرضة رافيل ولم يكثر بها دان ، بل أشار الى جسيكا .

غرزت جسيكا رأس الحقنة في احد عروق ساعد الزعيم وانتظرت لحظات قبل ان ترفع رأسها مخاطبة دان :

- بإمكانك البدء بالعمل يا دان .

- أنت مستعدة يا أنسة رافيل ؟

- رهن اشارتك يا دكتور ترافورد .

- حسناً فلنبدأ الجراحة .

لم يسبق لجسيكا ان أجرت جراحة في ظروف بدائية ماثلة ، فأحست بشيء من الاضطراب بخلاف دان ، الذي بدا هادئاً وهو يعمل مبضعه في جسم الزعيم حتى بانت الزائدة الدودية الملتهبة فتطلع الى جسيكا والعرق يتصبب من جبينه :

- الأمر أخطر مما كنت اعتقد ، فالزائدة قد انفجرت . علينا ان نمنع استفحال الالتهاب .

بعد حوالى الساعة ، خلع دان قفازيه الملطخين بالدم وساعد جسيكا على نقل الزعيم الى غرفة مجاورة ، حيث أعدت له الممرضة سريراً مريحاً فغطياه جيداً وتناولوا حقيبتيهما بعدما عهدا الى الأنسة رافيل بالعناية به . خرجا الى الساحة الصغيرة امام المنزل حيث التقيا بباتريك كابوفو ، فطمأناه الى صحة أخيه .

- هل ستغادرانا على الفور يا دكتور ترافورد ؟

- لن نرحل قبل التأكد من زوال الالتهاب تماماً ، وقد يستغرق ذلك يوماً كاملاً .

فوجئت جسيكا بجواب دان لاسيما وان اياً منها لم يجلب معه ثياباً اضافية . فقد توقعوا عملية جراحية بسيطة ولم يحسبوا حساباً للالتهاب . هتف شقيق الزعيم بارتياح :

- عظيم ، فالليلة نقيم احتفالاً هاماً ويشرفنا حضوركم . سنشاهدان رقصة الدومبا تؤديها الفتيات اللواتي تحضرن للزواج والمعروفة برقصة الأفعى لدى البيض .

انفجرت اسارير دان شاكراً مضيقه :

- شرف لنا ان نكون ضيفك .

- تعالاً اذن ، سارشدكما الى كوخيكما .

لم تعلم جسيكا ما يجول في خلد دان . ففكرة النوم في كوخ بدائي اثار
في نفسها قلقاً وهلعاً . لكن ما ان وقع نظرها على المكان الذي ستمضي فيه
ليلتها، حتى علت الدهشة وجهها .

كوخ حديث الشكل ، سقفه متقن الصنع واثاثه من خشب الصنوبر ،
ويحتوي على حمام مجهز بأحدث أساليب الراحة .

لاحظ باتريك اندهاشها فقال مرضحاً :

- ما زال سينريك يفضل العيش كما في السابق ، أما هذه الاكواخ فقد
صممت واثت خصيصاً لراحة ضيوفه .

توردت وجنتاها خجلاً وقالت :

- لا شك في اننا سننعم بالراحة فيها . شكراً جزيلاً .

التفت نحو دان سائلاً :

- هل اتصل بالدكتور اوبريان لآخبره بفائقنا هنا الليلة ؟

- سنكون لك من الشاكرين .

- أمرت احدي زوجات اخي بالسهر على راحتكما وتأمين كل
احتياجاتكما . ساناديكما حالما يظهر القمر ، لأن الاحتفال يبدأ فقط عند
حلول الظلام .

انحنى امامهما باحترام وانصرف تاركاً جسيكا مع دان امام باب كوخها .

- يبدو اننا مقبلان على سهرة مسلية .

- هل شاهدت رقصة الافعى من قبل ؟

- أجل انما في أحد الافلام السينمائية ، وأنت ؟

- سنحت لي فرصة مشاهدتها بعد وصولي الى لوزيفيل بايام ، وهي

تستحق المشاهدة مرة اخرى .

- اني اتحرق شوقاً لرؤيتها !

لم يلحظ ابتسامتها ، فقد استدار من غير ان يلتفت اليها متوجهاً الى
كوخه . فدخلت الكوخ المخصص لها وافقلت الباب خلفها ، فالحر الشديد
يسبب لها دوأراً ، والتعب بدا ينهش اوصالها . ما ان تمددت على السرير حتى
سمعت طرقة على الباب ففتحته لتجد نفسها امام عربة صغيرة صفت عليها
أطباق الطعام وأبريق كبير من عصير البرتقال الثلج . شكرت جسيكا الفتاة
التي جلبت العربة وافقلت الباب من جديد ، لتتلا معدتها الحاوية بهذه

الوجبة اللذيذة . بعدها اخذت حماماً بارداً واخذت للنوم بعد نهارها
المضني .

لم تدر كم من الوقت غفت ، لكنها استيقظت لتجد دان منحنيّاً
فوقها . . . للمرة الاولى يراها من غير تبرج .

همس دان بسخريّة بعد ان لاحظ ارتباكها وتورد وجنتيها :

- العشاء جاهز .

وكانه قرأ ما يجول في خاطرها ، توجه نحو الباب مردفاً :

- طلبت من زوجة الزعيم ان لا تزعجك ، فقامت بتجهيز مائدة

لشخصين في كوخي .

تنفست جسيكا الصعداء وهي تراقبه يهم بالخروج وقالت :

- سأكون جاهزة بعد عشر دقائق .

فتح الباب وقبل ان يخرج استدار نحوها يتأمل مرة اخرى كل جزء من

جسمها :

- فلتكن خمس دقائق ، فانا لا أحب اللحم بارداً .

استعادت هدوءها بعد ان أغلق الباب خلفه ، فارتدت ثيابها بسرعة .

كان الظلام قد بدأ يرخي ستاره الداكن عندما انتهيا من تناول العشاء ،

فخرجا الى الفسحة الصغيرة امام الكوخ ينتزهان على الحشيش الأخضر

ويرقيان بصمت ظهور القرص الفضي في قبة السماء .

بعد قليل ، انضم اليهما باتريك وتوجهوا جميعاً عبر المعر الصخري الى

ضفة النهر ، حيث اشعلت النيران استعداداً لبدء الاحتفال .

امام الساحة المخصصة للرقص وقف باتريك يشرح لها :

- في كل عام ، تأتي الفتيات من المناطق المجاورة والبعيدة للمشاركة

بالاحتفال الذي يرعاه الزعيم سدريك . واللييلة لدينا ما يقارب المئة

والخمسين مشتركة ، وهي أكبر نسبة منذ البدء باقامة الاحتفالات .

لم يقتصر الحضور على جسيكا ودان ، بل غصت الساحة بالمشاهدين وقد

تحلقوا حول النار يتربقون بده الاحتفال .

فجأة اخترق المتجمهرين رجل طويل القامة زين رأسه بريش الطيور ،

ويرتدي ثوباً غريباً صمم خصيصاً للاحتفال ، فخيم صمت كلي على

الحاضرين عند رؤيتهم الرجل وقد وقف في وسط الحلقة ، وهمس دان في

اذن جسيكا:

- انه قائد الدومبا، والدومبا تعني الحياة الضخمة.

لحقت الفتيات بقائدهن وقد ارتدين ملابس شفاقة وعلقن في اعناقهن عقوداً من الزهر الاحمر والابيض. تحلقن حوله بطريقة منظمة وبإشارة من يده رحن يقمن بحركات، استعانت جسيكا بباتريك لتدرك معناها:
- قبل الزواج تتابع الفتيات دروساً في الزواج، يتعلمن خلالها أصول الحياة الزوجية، وهن يحاولن الان اظهار ما تعلمنه.

ثابتت الفتيات على القيام بتلك الحركات الغريبة لفترة قصيرة، ثم بدأ قرع الطبول بوتيرة متناسقة راحت تعلق رويداً رويداً، ودب الحماس بالمتفرجين عند رؤيتهم قائد الدومبا يرفع يديه بحركة شبه هستيرية هاتفاً بكلمات مهمة، اضطر باتريك لتوضيح معناها لجسيكا:

- خرجت الحية من جحرها.

اسقطت الفتيات واحدة تلو الاخرى متخذات شكل الاعمى وبدأن بالرقص امام ناظري جسيكا المشدوهة. ثم رحن يتلوئين امام السنة النار المشرقة نحوهم، ويترنحن بحركات منظمة على وقع الطبول وكانهن شخص واحد.

مأخوذة بسحر الاحتفال، انكأت جسيكا الى كتف دان واحست بذراعه تطوق خصرها. لم تبال بتصرفاته وبقيت مشدودة الى منظر الاعمى تلهب الارض بحركاتها المجنونة، وكأنها في عالم آخر. انها ليلة غير اعتيادية وكل ما فيها لا يتسمي الى المعقول.

خدت النيران بعد ساعتين من الجنون الفاتن واستسلمت الساحة الى هدوء ثقيل مرغمة في احضان الظلام، فانسحبت فتيات الدومبا الى اكواخهن طلباً للراحة، وسكنت اصوات الطبول. بعدها رافق باتريك ضيفي الامسية الى مسكنيهما متمنياً لها ليلة هائلة، وعاد ادراجها الى منزل الزعيم سدريك.

ما زال صدى نغمة الطبول يضحج في رأسها فتحسها شلالاً هادراً في دمائها. ما برحت نشوة الرقص تخدر احساسها وتأسر خيالها، فلم تقاوم محاولة دان لعناقها فاحتمت به بقوة وهو يرفعها بذراعيه ويتوجه بها الى كوخه.

لم تشعر يوماً بحاجتها كما تحتاج دان الان.

نسبت كل ما حولها ولم تعد تكثرث بماضيه او بسمعته، انها تريد بالرغم من كل مساوئه وعيوبه، تريد لها في هذه اللحظة وفي كل اللحظات... فجأة طرق باب الكوخ بقوة، فانتفضت جسيكا مدعورة. لكن دان سارع الى وضع يده على فمها مانعاً اياها من الانفعال او الصياح، فوجودها معاً يعد امراً منافياً لتقاليد المقاطعة، عدا عن ان كونها معاً سيسب حرجاً لمضيفها الزعيم، خاصة وان دان قد ابدى اعتراضاً على الزواج وقبول الهدية. رفعت يدها تحمر فمها من قبضته وهزت رأسها هامة:

- لن أصبح، فأنا ادرك مغية وجودنا معاً.

ربت دان على كتفها مبتسماً وصاح سائلاً:

- من هناك؟

اجابت الممرضة راقيل بنيرة مضطربة:

- أصيب الزعيم بحمى قوية، هلا أتيت في الحال يا دكتور ترافورد؟
- سألحق بك فوراً.

توردت وجنتا جسيكا حياء وهي تسمع خطوات الممرضة تعود ادراجها الى منزل الزعيم.

- اني أسف يا جسيكا!

احتارت بما تفسر أسفه. فاجابت بنيرة يغلب عليها الحياء:

- الأفضل ان تذهب، وسألحق بك بعد دقائق.

غادر الكوخ على عجل، تاركاً جسيكا ترعش بالرغم من دفء المكان. ولما ابقت انه اغلق الباب، نهضت واقفة تفكر بما تفعله هنا.

ماذا كان مصيرها لو لم تأت الممرضة في تلك اللحظة؟ كانت ستصبح بكل بساطة ذكرى عابرة في احدى صفحات مغامراته، او فتاة مسكينة تجرر أذيال خطنها تائهة في هذا العالم. خرجت من كوخه كاللص تحاول الاختباء كلما سمعت صوتاً او لمحت خيالاً، وتوجهت مباشرة الى منزل الزعيم. رائحة الادوية تملأ الغرفة، والنور الشاحب المنبعث من القنديل القديم يضفي على المكان جواً من الرهبة، فدخلت متفادية النظر الى دان الذي بدوره لم يول وصولها أي اهتمام. بدا مختلفاً عما كان عليه منذ دقائق يضمها

اليه ويهمس لها بكلمات عذبة، فقد عاد الى رزانه يعاملها كطبيبة مساعدة لا أكثر، فتنفذ أوامره وتعليماته. لم تعترض على تحوله المفاجيء، فهي بحاجة ماسة الى ما يصرفها عن التفكير بما حصل في الكوخ. فتناولت الحقنة من يد دان وغرزتها في ذراع الزعيم يرقبان بقلق ردة فعله للدواء. بقيا قرب المريض حتى منتصف الليل حينما نهض دان عن مقعده وامسك بيده يتفحص نبضه ثم علق بارتياح:

- بإمكاننا ان نرتاح الآن، فقد زال الخطر.

همست المريضة مقترحة:

- سأبقى الى جانبه لفترة ثم استدعي من يجلب مكاني.

أوما دان برأسه موافقاً وحمل حقيته يحاول اللحاق بجسيكا قبل ان تغيب عن ناظره، وسار الى جانبها صامتاً وكأنه فقد القدرة على النطق. غمخت لو يقول لها شيئاً، أي شيء يساعدها على التخلص من قلقها وخوفها، ان يتنوه بكلمة تطمئنها وتزيل الفتور القائم بينها. لكنها لم تسمع سوى تحطم الاغصان اليابسة تحت اقدامها تجرح السكون المخيم على القرية بأسرها.

وصلا الى امام كوخها فوقفت عند الباب وغمخت له ليلة هائلة. لكنه طوقها بذراعيه يحاول ضمها اليه، فدفعته عنها بهلع قاتلة بنبرة حازمة:

- لا يا دان. ما حصل منذ ساعات كان غلطة لا اريدها ان تتكرر.

امسك بكتفها ضاغطاً بانامله على جلدها الطري حتى كادت تصرخ من الألم:

- لم تكن غلطة يا جسيكا. كنت تريدني بقدر ما كنت أريدك.

- لا انكر ذلك. كانت نزوة ولا أكثر وانا نادمة على ذلك.

رفع يديه عنها بقوة فاوشكت ان تقع وسألها بحق:

- هل انت جادة في ما تقولين؟

في كلماته شيء من القلق المجهول بالصدق، لكنها لم تشأ المجازفة واتكأت الى الباب ترفع خصلات شعرها عن وجهها بحجة بصوت متهدج:

- أجل... ان اعني ما أقول.

بقي صامتاً للحظات كبركان يستعد للانفجار، ثم علا صوته متوعداً:

- في هذه الحالة، لا أرى داعياً لخوفك مني بعد الآن فأنا لن امسك ثانية.

اثارت كلماته القشعريرة في جسمها وكأنها كتل من الجليد اخترقت اعماقها، وراقبتة يتعد عنها بخطوات ثابتة والألم يحز في نفسها.

هجر الكرى عينها تلك الليلة فراحت تتقلب في فراشها مستسلمة لدوامة من الافكار، تراجع ما مر عليها طوال اليوم. منذ بدء رقصة الدومبا واللحن المثير الذي سرى في عروقها، لا تعي سوى حاجتها الى حب رجل تدرك كل الادراك انه سيتخلى عنها فور نيل مأربه منها. حاولت منذ البداية ان تنظر اليه كطبيب فقط وليس كرجل قادر على اغواء أية امرأة، لكنها اكتشفت استحالة تجاهل تأثيره الى الأبد، فهو رجل يصعب تحببه لما يتمتع به من رجولة وقوة. انه يتمتع بمقدرة هائلة على تحريك مشاعرها واثارتها، وقد اثبت هذا منذ لقائهما الأول، فوجدت نفسها في وسط التيار الجارف تقاوم شيئاً أقوى منها بكثير. احبته بسرعة وبسهولة وتركته يقلب حياتها رأساً على عقب.

امر واحد يغيظها ويقلقها في آن، وهو حياؤها الشديد منه. احست بجدار خفي يفصلها عنه ويبقيه لغزاً غامضاً. لا تنكر انه كان لطيفاً معها، لكن لطافته ليست سوى وسيلة للوصول الى مبتغاه فهو ليس من الذين يتوسلون القوة والعنف لنيل ما يريد.

احست بضياح رهيب عاجزة عن تفسير احاسيسها، فلجأت الى البكاء تدفن بدموعها سخطاً هائلاً على نفسها والمأ مبرحاً يفجر اعماقها. وللمرة الأولى منذ سنوات تبكي لتنام ولكن، حتى النوم لم يخفف من وجعها. فصورة دان غزت احلامها ورأت نفسها جاثية أمامه متوسلة حنانه ووجه وهو يضحك ساخراً منها يرفسها برجله بتعجرف ووسطوة.

استيقظت في الصباح الباكر على تغريد الطيور والدموع تبلبل وجتبتها، ففتحت نافذة الكوخ ترحب بشفء الشمس يلفح وجهها بعد ليلة من العذاب والقهر.

ارتدت ثيابها بسرعة ووقفت أمام المرأة تتأمل وجهها الشاحب وعينيها اللتين اذبلها الحزن. ثم تناولت حقيبتها الطبية وانجهدت الى منزل الزعيم سدريك.

٩- ما قامت به لا يغتفر ابداً. وهي في قرارة نفسها لم تقصد ان تؤذيه. لكن خوفها منه أعمى بصيرتها. هل يكفي بالاعتذار؟

شقت جسيكا طريقها وسط الحشد الهائل من القرويين الذين تجمهموا امام منزل زعيمهم ينسقطون الأخبار عن صحته بقلق ووجوم. واضطرت للتوقف مراراً لتجيب على اسئلتهم من غير ان تسدي اليهم خدمة تذكر، فهي لا تفهم حرفاً مما يقولون. وصلت الى المنزل شبه منهاره وسارعت الى اغلاق الباب خلفها، تجاهد في منع الفضوليين من اقتحام الغرفة. كان دان جالساً الى جانب الزعيم وقد انتهى للتو من معابته، فلم يلتفت اليها حينما دخلت، ولم يعرها اذني اهتمام وهي تستوضح حالة المريض. اكتفى بأجوبة مقتضبة فظة متفادياً الخوض في التفاصيل، فلزمت الصمت وجلست قرب الممرضة تترقب بشوق ساعة العودة الى منزلها في لويزفيل. لا حاجة لبقاتها هنا بعد اليوم، فصحة الزعيم في تحسن ويمكن ان يعهد الاعتناء به الى الأنسة رافيل.

وقف دان وكأنه أدرك ما يجول في خلدتها وخاطب الممرضة: - زال الخطر كلياً ومن الآن سيكون في عهدةك. سأطمئن الاهالي. واجه في الخارج عشرات العيون الحائرة تحمطه بنظرات قلقة، فطلب من باتريك ان يطمئنتهم على صحة زعيمهم وزوال الخطر عنه. وبعد لحظات علت صيحات المنجمهين وتقدم منه شيخ جليل متكلماً باسم الباقين وطلب منه ومن جسيكا مشاركة أهل القرية الافطار، فقبل دان الدعوة شاكراً.

بعد الفطور حزم الطبيبان حقيبتيهما وعرجا على خيمة الزعيم مرة اخرى لتوديعه قبل عودتها الى لويزفيل.

لقت اتباهها وهما يقتربان من الخيمة، صخب شديد في الاسطبل المجاور وصيحات الرعاة تدوي في كل مكان. وعلى بعد عدة أمتار من الاسطبل وقف باتريك يراقب ما يحدث مصدراً بين الحين والآخر أوامره. كل ما يحدث كان لغزاً بالنسبة الى جسيكا ولكن ما ان دخلت الخيمة حتى أدركت سبب الضجة بعد ان بادرها الزعيم العليل قائلاً:
- لقد اختار اخي نخبة قطعاننا، أريدك ان تختار منها عشرة رؤوس مقابل ما بذلك من جهد لانقاذي. ولا تنس يا دكتور ان تجد لنفسك عروساً.

اختلفت وقع عبارته هذه المرة على جسيكا، فالغبطة التي احستها المرة الأولى حلت مكانها غصة خانقة بعد تصرف دان معها ليلة البارحة. حتى دان بدا متزعجاً من ملاحظة الزعيم فاعتذر بنبرة مهذبة:
- أقدر لك اهتمامك بموضوع زواجي اياها الزعيم، اما الماشية فاعتذرتني عن عدم قبولها لجهلي امور تربيتها والاعتناء بها. وعن بدل الأتعاب فأنا أترك مناقشة ذلك لشريكتي.

لم يعلق الزعيم على رد دان مكتفياً بالابتسام، وصفق مرتين هرولت على الأثر زوجته وكأنها كانت تنتظر اشارته، حاملة علبة كبيرة وضعتها أمام زوجها وجثت على الأرض قرب فراشه.
راقبت جسيكا بفضول وهو يحمل رباط العلية ويخرج منها جلد أفعى، وازدادت عيناها اتساعاً حين مد يديه المرتمختين اليها قائلاً:
- أفعى الدومبا تجلب الخير والحظ. انها تساعد على انجاب ذرية جيدة.

توردت وجتها وازداد ارتعاشها عندما لاحظت نظرات دان المسلطة عليها، فأجابت بصوت متهدج:
- لست متزوجة اياها الزعيم.
عاود الرجل المريض الابتسام وهتف:
- لا أهمية لذلك، فالرجل اياها الطيبة يشبه أفعى الدومبا عندما يتهايا للبحث عن عروس. ويزداد شراسة ونهاً كلما تمعن في البحث، ولا يترك لفريسته أية فرصة للهروب حينها يضرب ضربه.
لم يبد على جسيكا انها فهمت ما يقوله فرفع يده مودعاً:

- بأمان الله يا دكتور ترافورد وذكورة نيل، سيرافقكما أخي الى المطار. جلسا في المقعد الخلفي لسيارة باتريك السوداء الكبيرة ونظر دان الى الهدية في حضانها معلقاً:

- لقد احسنوا اكرامك، فجلد الأفعى هذا لا يقدمونه سوى في المناسبات النادرة، وللأشخاص المميزين.

شعت عيناه القاتمتان ببريق اعتادت ملاحظته كلما حاول ان يسخر منها، فحولت نظرها عنه بانزعاج وقد عاودتها فجأة ذكرى الليلة الماضية، وتأججت نارها في فكرها من جديد تلسعها وتؤللمها. ستحتاج الى بعض الوقت لتتسنى خجلها بعد السماح له بالتمادي في تصرفاته معها.

لم تكن رحلتها في الطائرة الى لوزيفيل مريحة كما تمت جسيكا ان تكون. فالطقس الغائم جعل الرؤية شبه معدومة، وتسبب في مطبات هوائية بذلت جسيكا جهداً كبيراً لتفاديها.

- ما الذي دفعك لتعلم الطيران؟

- رافقت اخي مرة في تمارينه وأعجبتني الفكرة.

- هل تحتفظين بمفاجات أخرى غير اجادتك الطيران؟

- أقلعت جسيكا عن التحديق في ساعات القيادة مبتسمة:

- لا اعتقد.

حطت الطائرة في المدرج المخصص لها في جو ممطر وعاصف اكتنزت فيه السماء بغيوم سوداء ثقيلة، يشق احشائها بين الحين والآخر لمعان برق كالسنة اللهب يصحبه دوي رعد مخيف.

وصلت جسيكا الى سيارتها وقد بللها المطر من رأسها حتى أخصص قدميها، فجلست خلف المقود تنشف شعرها ويديها. بعد لحظات وصل برنارد بشاحنة صغيرة وترجل منها متوجهاً نحو سيارة دان ثم عاد ادراجه الى الشاحنة مشيراً لها بالسير خلفه مباشرة. احست ببعض الارتياح لمواكبة برنارد لها، فقيادة السيارة في جو عاصف كهذا وفي شوارع تملؤها السيول والوحول، يعد ضرباً من الجنون. سار الثلاثة على مهل في شوارع المدينة العابقة بالضباب وقد تحولت الى بحيرات من شدة غزارة المطر المنهمر، ورافقها برنارد حتى مشارف لوزيفيل حيث أطلق منه شاحنته عدة مرات مودعاً وقفل راجعاً من حيث أتى. فأكملا طريقهما كل في سيارته الى ان

وصلت منزلها فاستسلمت لحمام ساخن كان أفضل ما حصلت عليه هذا الصباح.

وانتظرت حتى هدأت العاصفة ثم توجهت الى العيادة حيث كان الدكتور اوبريان في انتظار سماع اخبار الزعيم سدريك.

تنبهت جسيكا خلال رحلتها الى مقاطعة فندا الى وجوب تجديد رخصة الطيران، فعملت، في الاسبوع الذي تلا عودتها الى لويزفيل، على تحضير ملفها الطبي وضمته كل ما تحتاجه من مستندات وأوراق وقدمته الى بيتر أثناء تناولها الغداء معاً في العيادة.

- لا يتقصه سوى توقيعك يا دكتور اوبريان قبل ان أقدمه للدوائر المختصة.

ابتسم بيتر وهو يقطع شريحة اللحم في طبقه:

- لن يستغرق الأمر طويلاً.

- عظيم، فيودي ان أعاود ممارسة هوايتي المفضلة.

قطع عليها حديثها هدير شاحنة وجلبة قوية في الشارع امام المبنى، فنهض بيتر عن مقعده هاتفاً بحدة:

- ما هذه الضوضاء المزعجة؟

وهرول الاثنان الى النافذة المظلة على الطريق ليقع نظرهما على شاحنة ضخمة متوقفة امام مدخل المبنى، عملة بعدة رؤوس من الماشية تتناحر وتتدافع في الصندوق الحديدي.

- ماذا تفعل شاحنة كهذه في وسط المدينة؟

بدأ الشك يساور جسيكا، لكنها احجمت عن ذكر شيء امام بيتر وهو يحاول بانفعال ظاهر فتح النافذة.

- انا متأكدة من ان المرضعة هانسن مستدبر الأمر بسرعة.

- لا يبدو انها تلقى نجاحاً في مسعاها، فالسائق مصراً على البقاء في مكانه.

- من الأفضل ان نذهب ونتحرى الأمر.

انضبا خلال ثوان الى المرضعة الحانقة وبادرها بيتر سائلاً:

- هل تواجهين متاعب يا آنسة هانسن؟

- اعتقد ان الدكتور ترافورد يواجه مشكلة، فهذا الرجل يدعي بأنه من

قبل الزعيم سدريك الذي أوكل اليه مهمة تسليم هذه الماشية الى الدكتور ترافورد مقابل انقاذ حياته.

تمتم الدكتور اوبريان محاولاً كبت انفعاله:

- حسناً، من الأفضل ان نطلب من دان الحضور الى هنا.

ابتسمت المرضعة بمكر:

- سأقوم بذلك في الحال يا دكتور اوبريان.

نظر بيتر الى جملة الشاحنة ثم التفت الى جسيكا سائلاً:

- أتعرفين شيئاً عن هذا الأمر؟

لم تقو على تمالك نفسها فانفجرت ضاحكة:

- طلب الزعيم من دان ان يختار بنفسه هديته من الماشية، لكن دان

حاول التهرب من ذلك. كما أصر الزعيم سدريك على ان يتاع دان لنفسه عروساً بهذا القطيع.

شاركها بيتر الضحك لكنه أقلع فجأة عندما لمح دان قادماً:

- يا له من طلب غريب! ها قد أتى دان.

ألقي الدكتور ترافورد نظرة سريعة على الشاحنة مستوحياً:

- ما المشكلة يا دكتور اوبريان؟

- لا مشكلة البتة يا دان، كل ما في الأمر ان ملكية هذه الحيوانات الثائرة تعود اليك.

جاهدت جسيكا في كبت ضحكاتها وهي تشهد تبدل ملامح دان هاتفاً:

- ماذا؟

- من الواضح ان الزعيم سدريك يعتبر ان الوقت حان لتجد لنفسك عروساً.

للمرة الأولى تشاهد جسيكا دان في هذه الحالة من الارتباك والاحراج، فلزم الصمت وقد خانتها الكلمات وعقدت المفاجأة لسانه. ثم التفت نحوها وكأنه ادرك المصدر الذي استقى منه الدكتور اوبريان معلوماته عن العروس والقطيع، فأشاحت بوجهها بتظاهر بالنظر الى سائق الشاحنة وقد اشعل سيكارة غير مكترث بما يدور بينهم من نقاش، فكل ما يسمه هو تنفيذ أوامر زعيمه والسهر على اتمام مشيئته.

سأل بيتر بهدوء وجدية:

- هل أطلب من السائق إيصال الماشية الى منزلك؟
انتفض دان بغضب كمن مسه تيار كهربائي:
- نعلم كل العلم انه من المستحيل ان احتمل هذه الماشية وهي تتجول
في حديقتي.

تدخلت جسيكا مقترحة بنبرة ساخرة:
- بإمكانك ارسالها الى أهل صديقتك في جنوب افريقيا.
صاح دان والشرر يتطاير من عينيه:
- يا لللعنة! لا أريد زوجة وعندما أقرر الزواج فلن ابتاعها بقطع من
البقر.

استعاد بيتر رصانته موجهأ كلامه الى دان:
- يجب ان تقرر ما ستفعله بها يا دان، فلا أظن ان الأبقار المسكينة
ستقوى على تحمل تلك الحالة المزرية وقتاً أطول.
- بصراحة لا أحفل البتة بما قد يضييها في هذه الشاحنة اللعينة.
ايقتت جسيكا ان فرصة الثأر من دان ونظراته الساخرة قد حانت،
فعلقت بنبرة هازئة متعمدة التحديق في عينيه الثائرتين:
- تصرفك لا يليق بهذه الهدية الجميلة يا دان، عدا عن ان رفضك يعتبر
اهانة للزعيم سدريك.

- ان كنت معجبة بها يا دكتور، فلماذا لا تهتمين بها بنفسك؟
لم تقدر جسيكا على كبت ضحكة قصيرة زادت من جنون دان:
- الرجل هو الذي يقدم المهر الى المرأة التي يختارها وليس العكس.
أنسيت قانون القبيلة يا دكتور ترفورد؟
شعر بيتر بأن النقاش سينحول الى مشادة حقيقية فتدخل محاولاً تهدئة
شريكه:

- لدي اقتراح يا دان، دع السائق يفرغ حمولته في السهل لترعى وترتاح،
وسأطلب من برنارد ان يأخذها في ما بعد الى مزرعته ويقيها هناك الى ان
تقرر ما ستفعله بها.
هضت جسيكا موافقة:

- فكرة ممتازة، لكن هل ستلقى معاملة جيدة مع وجود قطع برنارد في
الجوار؟

التفت بيتر الى دان يطمئنه ويحول دونه والاجابة:
- سأطلب من برنارد الاهتمام بها كاهتمامه بقطيعه.
- شكراً يا دكتور اوبريان.

تطلع بيتر الى المرضة قائلاً بلهجة آمرة:

- آنسة هانسن، ارشدي هذا الرجل الى السهل بينما سأنتصل انا
برنارد.

أطاعت المرضة الأمر فوراً وتوجهت الى حيث يجلس السائق وراحت
تشرح له بلغته الخاصة ما سيفعله بالماشية.

أمسك بيتر بذراع جسيكا متوجهين نحو العيادة:

- تعالي يا جسيكا، سأخبر برنارد ويعدها ننتهي من ملفك.

توجه الدكتور اوبريان الى مكتب الأنسة هانسن لاجراء المخاطبة بينما
جلست جسيكا في عيادته تعيد تصفح ملفها.

فجأة سمعت باب الغرفة خلفها يفتح فالتفت طائفة ان الداخل هو بيتر
نفسه، لكن الابتسامة الناعمة المرتسمة على ثغرها تلاشت عندما وجدت
نفسها تواجه دان. عقدت الدهشة لساعاتها فلم تقو على الكلام وهي تراقبه
يغلق الباب خلفه ويدس المفتاح في جيبيه. ظنت انها تتخيل فصاحت
بصوت يشبه الحشرة:

- ماذا تفعل هنا؟

سار دان بخطى بطيئة ناحية المكتب وراح يتفحص الأوراق المكدسة،
ثم قال:

- تلقى بيتر مكاملة طارئة من المستشفى وطلب مني اتمام ملف اجازة
الطيران بنفسي.

- ماذا؟

- عندما أريد ان أعين أحداً فأفضل ان يكون عملي كاملاً.

شبكت يديها خلف ظهرها وقالت بحزم:

- لن يحدث هذا ابداً.

تلاقت نظراتها لنوان وأحست بعينيها الرماديتين توشكان على
الانقراض عليها، وهو يتقدم منها مبتسماً ابتسامة غريبة لم تلحظها من
قبل.

نهضت عن مقعدها مذعورة، وتراجعت نحو الباب بخطى متعثرة
ويدها على وجنتيها الملتهبتين:

- اذا تجرأت على لسبي فسأملأ المكان صياحاً.

ابتسم مجدداً وازدادت عيناه لمعاناً:

- اصرخي ما استطعت، فالآنسة هانسن ذهبت لتناول الغداء (وأشار
باصبعه الى باب الغرفة خلفها مردفاً) عدا عن اني أقتلت ذلك الباب
والفتاح في جيبي.

تراجعت يداها وتحول لون وجنتيها القرمزي الى أصفر شاحب:

- يا لك من ماكر نذل.

هتف يتململ:

- انك تسيين لي الضجر يا جسيكا. هيا.

لم تحشه كما الآن. وقد تحولت الى هدف سهل لعينيه تجويانها من رأسها
الى اخصص قدميها بنهم ووقاحة. شعرت بجفاف هائل في حلقها، وعاد
الدم يلهب وجنتيها فالتصقت بالباب صائحة:

- حسناً يا دان، لقد نارت لنفسك. اعترف اني أخطأت بالهزم منك

وأنت تتلقى هدية الزعيم. واعترف اني اخبرت بيتر عن مغزى الهدية. لقد

أخطأت وأنت الآن تحاسبي على خطئي، وأظن اننا تعادلنا. اليس كذلك؟

بدا وكأنه لم يسمع حرفاً مما قالت وخطا نحوها مردداً بنبرة باردة:

- يبدو انك حقاً تريدني ان أعابنك بطريقي.

ما ان أصبح قريبا وهم بمد يده اليها، حتى رفعت ذراعها وصدفته على

وجهه صفعة تردد صداها في انحاء الغرفة. تسمرت في مكانها تحديق به

بعينين ضائعتين، وحاولت الكلام لكنها بدت عاجزة عن فعل أي شيء.

ما قامت به لا يغتفر ابداً، وهي في قرارة نفسها لم تقصد صفعه. لكن

خوفها منه دفعها الى ذلك بعد ان أعمى بصيرتها.

اشتعلت عيناه وقد هاله ما فعلت، فأمسك بها ضاغطاً بأنامله على

كتفيها وصائحاً كيركان ناثر يقذف حممه في كل اتجاه:

- أقسم ألا ألمسك بعد الآن، لكن علي اللعنة ان لم أجعلك تدفعين ثمن

ما فعلته.

فجأة، دفعها بقسوة بعيداً عنه، فاستندت الى احد المقاعد مغمضة

العينين فريسة الدوار والارتعاش، وسار الى الباب يفتحه على مصراعيه
قائلاً بنبرة متوعدة:

- بإمكانك الذهاب يا دكتور، لقد تعادلنا الآن.

لم تصدق للوهلة الأولى انه جاد في كلامه، فبقيت مكانها للحظات ثم

هرعت نحو الباب تتحقق من فتحه وخرجت لا تلوي على شيء، تحمل الى

منزلها زوبعة من القلق والاضطراب ودموعاً سخية تبلل وجنتيها.

من الواضح انه لم يستسغ سخريتها منه أمام بيتر والمرضة، فثار منها في

العيادة ولا بد أنها تبادت في هزتها حتى استحقت هذا العقاب. ربما لو

تقبلت ردة فعله بيرودة لما كان حصل كل هذا، لكن الهلع تملكها وشيخ

لبلة الكوخ غشى عينها ففقدت صوابها. تعلم جيداً انه لن يسكت عن

فعلتها ولو كانت ناجمة عن خوف. انها تدين له بالاعتذار، ولكن هل

يكتفي بالاعتذار وينسى ما حدث، وهل يححو أسفها آثار أناملها عن

وجهه؟

في مساء اليوم التالي كانت جسيكا تستريح في عيادتها، بعد نهار حافل

بالمعاینات والمرضى، عندما دخل بيتر حاملاً ملفها الطبي.

- جسيكا... بخصوص ملفك الطبي، هل...

قاطعت جسيكا معاتبية:

- لماذا طلبت من دان الاهتمام به يا بيتر؟

- لم أطلب شيئاً من أحد. سألته ان يجربك عن اضطراري للذهاب الى

المستشفى واني سأهني الملف اليوم بعد الظهر.

- هكذا اذن.

لمعت عيناه بيريق ماكر يسألها:

- هل احتال عليك؟

- يبدو انه لم يحتمل سخريتي فأراد ان يثار مني...

- وهل أفلح في ذلك؟

- لا وجود للفشل في قاموس هذا الرجل.

غادر بيتر غرفتها بعد ان وضع الملف على الطاولة، بينما خلعت جسيكا

سرتها البيضاء وتناولت حقيبتها متجهة الى عيادة دان، حيث وقفت برهة

تستجمع قواها قبل ان تقرر الباب وتدخل.

كان دان يرتدي سترته ويتهبأ للرحيل حين ظهرت أمام الباب:

- هل من خدمة أودها لك؟

أجابت بكلمات سريعة قبل ان تفقد هدوءها:

- تعلم كل العلم اني هنا لأعتذر عن الصفعة.

- لا تكوني سخيفة يا جسيكا. فأنا أعلم انك استمنعت بها.

- وأنت هل وجدت متعة في العقاب؟

- اجل في حينه (وأردف مبتسماً) لقد استحققت عقابك اما الآن فأنت

تستحقين شيئاً افضل.

قبل ان تدرك نواياه سارع الى اغلاق الباب ووجدت نفسها أسيرة

عناقه. المقاومة كانت آخر ما فكرت فيه بعد ان واجهها بطريقة تختلف عن

المرة السابقة. لكن ما ان مضت لحظة، حتى انتفضت بين ذراعيه

وتراجعت متممة بعبارات متقطعة:

- لا... لا تفعل...

لم يعترض دان على تراجعها بل لزم مكانه مستوضحاً بوجه عابس:

- مما تخافين هذه المرة يا جسيكا؟ من نفسك؟

وحمل حقيقته ومضى من غير ان يفسح لها في المجال للاجابة. لقد ذكر

الخوف قبل ان يرحل وما ادراه عن مقداره في نفسها؟ انه يعلم فقط حقيقة

الملع الذي سببه لها البارحة، لكنه يجهل حجم الخوف الذي تثيره

احاسيسها في نفسها.

بعد اسبوعين، وصل والدا جسيكا لتمضية عطلة الاسبوع معها،

حاملين أوراق النبي اللازمة التي على بيتر وفيغيان توقيعها لدى المحكمة في

لوزيفيل.

وفي نفس الليلة، أقيمت حفلة خاصة في منزل آل اوبريان، احتفاء

بقدموم جوناثان وزوجته، ضمت عشرات المدعوين تحلفوا حول حوض

السباحة في الحديقة، ومن بينهم اوم هايني، والعمة ماريا دلبورت وبرنارد

واوليفيا كينغ...

جلست جسيكا الى جانب اوليفيا تحدثها وتداعب الطفل الجالس في

حضانها، عندما رأت دان يدخل الحديقة ويتوجه مباشرة الى حيث يجلس

بيتر.

تمت لو لم يأت الليلة، فهي على يقين انه سيفسد عليها الحفلة ويخرجها

امام اهلها والمدعوين، فلزمت مكانها تراقبه من بعيد ينضم الى والديها بعد

ان قدمه بيتر اليها.

لم يستغرق دان وقتاً طويلاً حتى يحوز على اعجاب السيدة نيل وزوجها،

بأنافته المعهودة وسحره المتألق.. فزال الكلفة بسرعة بين الثلاثة يتسامرون

ويضحكون. ثم انسحب بيتر متوجهاً الى وسط الحديقة ممسكاً بيد ميجان

وهتف بالحاضرين قائلاً:

- أسألكم جميعاً الترحيب بابتنا ميجان اوبريان، التي يسعدنا كثيراً ان

تنضم الى عائلتنا. اشكركم جميعاً على مشاركتنا فرحتنا.

علت عبارات الترحيب من كل صوب ودارت ميجان مع والديها بين

الحاضرين للتعارف، وعند وصولهم الى حيث تجلس جسيكا رفع بيتر يده

طالباً من الحاضرين الاصغاء:

- كلمة أخرى أود اضافتها. شكر خاص للدكتورة نيل التي ندين لها

بكل ما نتمتع به من سعادة.

وقفت جسيكا وقد توردت وجتاها خجلاً وهي تسمع صحبات

الموجودين تعلمون جديد مرحبة بها وأنظارهم مسلطة عليها. تلاقت

عينها وعينا دان الواقف في الطرف الآخر للحديقة يراقب المشهد، فلوح

لها بيده والابسامة تعلق وجهه. لم تتمكن من ملاحظة تعابير وجهه، لكنها

عل ثقة بأنها تعابير هزء وسخرية كالعادة، فعادت الى مقعدها بقرب اوليفيا

تلاعب الطفل في محاولة لحنق شعور بالاضطراب ساورها فجأة.

- أشكرك بدوري يا جسيكا على ما قمت به لسكان هذه المدينة.

- لا أظن اني فعلت ما يستحق كل هذا يا اوليفيا.

همست العمة ماريا مقاطعة:

- حان الوقت لتجدي لنفسك عريساً يا حلوتي. ستبدوان رائعين أنت

وطفلك.

أيدت اوليفيا قول العجوز هاتفة:

- العمة على حق يا جسيكا. انت تعشقين الأطفال فلا تضيعي وقتك،

وابدئي بالاهتمام جدياً بفكرة الزواج.

- علي ان أجد الزوج المناسب أولاً.

انفجرت أسارير العمة ماريا وقالت بلهجة مأكرة:
- ما رأيك بدان؟ سبق وقلت لك انه زوج مثالي.
تنبهت اوليفيا الى ان المحادثة بدأت تتطرق الى أمور شخصية بحتة،
فالتفتت الى العجوز مقترحة:
- علينا ألا نستعمل الأمور يا عمة، فجسيكا ستجد الرجل المناسب في
الوقت المناسب.

نظرت جسيكا اليها شاكرة وناولتها الطفل قائلة:
- من الأفضل ان تأخذي لوغان. اريد ان أتحدث قليلا الى ميجان.
توجهت الى مكان ميجان وفرانسين، واضطرت في طريقها للمرور
بقرب دان الواقف مع مجموعة من الرجال مديراً لها ظهره يستمع الى برنارد
يتحدث عن الصيد. وما ان باتت خلفه مباشرة حتى استدار ناحيتها ينسم
لها، وتلاقت نظراتها للحظات طويلة قبل ان تتمكن بعد جهد من الافلات
من سطوتها ومتابعة طريقها.

- مرحباً ابنتي الجميلتان. كيف حال ميجان اوبريان؟

لمعت عينا ميجان مجيبة بزهو كبير:

- ابي سعيدة جداً يا دكتورة نيل وست وافقة الآن من اني لن أغادر هذا
المكان ابداً.

التفتت جسيكا الى ابنة برنارد سائلة:

- ما رأيك يا فرانسين؟

ابتسمت الصغيرة ابتسامة عريضة كشفت عن أسنان ناصعة:

- رائع ان يكون لي ابنة خال. وخلال العطلة القادمة سأعلمها ركوب
الخيل.

- لا شك في انكما ستتمضيان وقتاً ممتعاً.

قفزت ميجان الى حضن جسيكا هاتفة:

- سيكون نهاراً عظيماً.

علا صوت دان خلف جسيكا سائلاً:

- أي نهار هذا يا ميجان؟

جاهدت جسيكا في الحفاظ على هدوئها وهي تلتفت لمواجهة الزائر
الجديد، بينما أجابت ميجان والبسمة لم تفارق شفيتها:

- اليوم الذي ستعلمني فيه فرانسين ركوب الخيل.

جثا دان امام فرانسين يستوضح باهتمام:

- هل تحيدين ركوب الخيل يا فرانسين؟

- أجل يا دكتور، لقد دريتي والذي وهو فارس ماهر.

طوقت ميجان عنق جسيكا بيديها تسألها بدلال:

- هل تركبين الخيل يا دكتورة جسيكا؟

- لا يا عزيزي.

تدخلت فرانسين قائلة:

- واوليفيا لا تتركب الخيل ايضاً، فقد سقطت يوماً عن صهوة جواد.

يقول والذي ان على من لا يجيد ركوب الخيل ان يبقى بعيداً عنها، فهي
حساسة جداً.

نظر دان الى جسيكا معلقاً بسخرية:

- وهناك ايضاً أشخاص حساسون للغاية، وفي الواقع انا أعرف واحداً

منهم ينجح من الحقيقة الى درجة كبيرة.

ومد ذراعه تستلقي حول خصرها فانتفضت مبتعدة عنه.

- ارجو المذرة، اظن فيبان تود التحدث الي.

أفلحت في التخلص من ذراعه لكنها بقيت هدفاً لنظراته الساخرة وهي

تجتاز الحديقة.

بادرتها السيدة اوبريان قائلة:

- اريد التحدث اليك على انفراد منذ وصول والدك البارحة مع اوراق

التبني. نود ان نشكرك على ما فعلته لاجلنا وفي الحقيقة لا أدري من أين
أبدأ.

- لا تقولي شيئاً يا فيبيان. يهمني ان أراك سعيدة.

- آه، انا سعيداء، سعيداء جداً.

- اذن هذا يكفيني.

جففت السيدة اوبريان دموعها مبتسمة بحنان:

- بما اننا نتكلم عن السعادة، فقد لاحظت ان دان يبدو مكتئباً هذه

الأيام. هل تعتقدن انه يواجه مشاكل مع تلك السيدة من بريتوريا؟

تصنعت جسيكا اللامبالاة مشيخة بوجهها الى البعيد:

- لا أدري يا عزيزتي .

- ليست مفاجأة ان يقع اخيراً في غرامها، وستؤدي له خدمة كبيرة ان تخلت عنه بعد ذلك .

شعرت جسيكا بالغيرة تمزقها، انه ما زال يقابل سيلفيا سامرز . وحاولت اقناع نفسها بنسيان الأمر، لكن السؤال راح يكبر في رأسها حتى كاد يتحول الى صراخ .

طوال السهرة، تجنبت جسيكا قدر المستطاع التحدث الى دان مكتفية بالنظر اليه بين الحين والآخر يتحدث الى والديها . واضح انه حظي باعجابها فقد امضيا السهرة بأكملها يستمعان اليه . وتجاهلت عدة مرات اشارة والديها لها بالانضمام اليهم مفضلة البقاء بعيدة وحيدة مع هواجسها وتساؤلاتها . . .

١٠ - «قد تدوم علاقتكما سنة أو سنتين وبعدها تتحولين الى صفحة بالية في دفتر ذكرياته . وتقييده بسلاسل الزواج يحتاج الى امرأة خارقة تعرفه حق المعرفة .»

فاجأ جونانان نيل ابنته بالسؤال وهي تهم باشعال النور في غرفة الجلوس :

- الا توافقيني الرأي بأن دان ترافورد شاب لطيف وذكي؟

قاطعتها اميليا بحماس بمنعنة النظر في جسيكا :

- اني اراه جذاباً ايضاً، وقد دعوته لتناول العشاء غداً مساء .

هتفت جسيكا باستياء واضح :

- اماه! لماذا؟

فوجئت الوالدة بردة فعل ابنتها :

- لا ارى مبرراً لاستيائك يا جسيكا .

- هل قبل الدعوة؟

- بكل سرور . في الحقيقة يا جسيكا لا ادري كيف افسر موقفك منه .

فهو يهي الطلعة، جذاب ويملك من الرجولة قدراً يستحيل عليك تجاهله أو

معاملته كواحد من مرضاك . لا امرأة، وحتى انت تستطيع النظر اليه من

غير ان تشعر بشيء غريب في داخلها .

كانت لتجد تعزية وراحة في قول امها، لو انها لم تلق من دان تلك

الصددمات المتتالية فأجابت بعصية :

- انت محقة في ما ذكرت . لكن . . .

- لكن ماذا؟

تهددت جسيكا والغصة تكاد تخنقها :

- كل ما في الأمر، اننا لا نتفق في امور كثيرة .

- ولم لا يا ابنتي؟

انضم الوالد الى النقاش قائلاً:

- ربما هناك تفسير كيميائي، فكل مركبين عند وضعهما معاً يتجاوبان أو يتباعدان.

حدثت اميليا زوجها بنظرة ثابتة معلقة:

- كنت دائماً امنت نظرياتك العلمية، اما الآن فأجدها مناسبة ومنطقية.

لاحظ الأب صمت ابنته وارتباكها فتقدم من زوجته مقترحاً:

- لنوقف هذا التحقيق الآن، فالوقت متأخر وجميعنا متعبون.

همت اميليا بالاعتراض، لكن جسيكا تمت لها ليلة هادئة وتوجهت الى غرفة نومها.

أبت عيناها الاستسلام للرقاد طوال الليل فبقيت تصارع الأرق من غير جدوى. دعوة دان الى العشاء تشغل فكرها وتقلقها. قد يخطئ بكلمة أو بحركة امام والديها وتقع الطامة الكبرى.

في الصباح، لزمت فراشها الى ان سمعت جلبة في الطابق الأسفل، فأيقنت ان والديها استيقظا، فتحاملت على نفسها بالرغم من تعبها وانضمت اليهما لتناول الافطار.

وقفت جسيكا ووالديها في المطبخ تضعان اللمسات الاخيرة على اطباق الطعام قبل نقلها الى الطاولة، عندما طرق الباب الخارجي، فوضعت اميليا ما في يديها وفتت بحماس كلي:

- لا شك في انه دان.

تمت الابنة متصنعة اللامبالاة:

- اظن ذلك.

- حسناً، ان تبادلري الى استقباله؟

- والدي في غرفة الجلوس وسيفتح له الباب.

ضافت اميليا ذرعاً بعناد ابنتها فصاحت بسخط:

- يمكنك على الأقل القاء التحية.

تهادي صوت جوناثان مرحباً:

- اهلاً يا دان، تفضل بالدخول.

- ارجو الا اكون قد بكرت في الحضور.

- ابدأ، النساء في المطبخ وأنا اكره الجلوس بمفردتي.

توجهت الى غرفة الجلوس، في حين اصلحت اميليا هدامها وقالت قبل ان تغادر المطبخ:

- اذا كنت قد نسيت اللياقة وحسن الضيافة، فأنا لم انسها.

بقيت جسيكا وحيدة تحاول تهدئة نفسها قبل مواجهتها دان امام والديها. حاولت التنصت الى ما يدور بينهم في الغرفة الأخرى، فلم تسمع

سوى قهقهات ومسمات غير واضحة ضاعفت من ارتباكها، فتمنت فجأة لو ان السهرة في نهايتها فيضطر دان الى الرحيل قبل ان تقابله.

عادت الى العمل عليها تنسى الضيف الذي جاء يقلق راحتها، ولكنها فوجئت بدان يدخل المطبخ بهدوء ويقف قبالتها قائلاً:

- لا اظنك ثمانين بالانضمام الينا.

كادت تطيح بالأطباق من شدة اضطرابها فاستندت الى حافة الطاولة متممة:

- لا ابدأ، لكني متمكة ببعض الأعمال هنا.

- اظن ان دعوتي الى العشاء لم ترق لك.

ادركت انه لاحظ اضطرابها، ويات من المستحيل اخفاء حقيقة شعورها:

- اصبت في ظنك.

- لماذا يا جسيكا؟

- صحيح اننا نعمل معاً ولكن هذا لا يجبرنا على المشاركة في الحياة الاجتماعية.

نقطب وجهه فجأة ورمقها بنظرة تحد قائلاً:

- يبدو انك لا تحبين كشف اوراقك كاملة.

- هذا ينطبق عليك ايضاً.

- هذا صحيح، فأنا احب الاحتفاظ ببعض الأسرار وخاصة الممتع منها، كالليلة الرائعة التي قضيناها في احد اكواخ الزعيم سدريك مثلاً.

اغاظتها طريفته في الكلام عن تلك الأمسية المشؤومة، فعلا الاحمرار وجهها من شدة الغضب ومدت يديها تمسك بطبق

امامها متمنية لو تضربه به. لكنه ابتسم وكأنه ادرك ما

يجول في رأسها وقال:

- هل ستلتفتين طبعاً جيداً كهذا يا جسيكا؟

استدارت نحو النافذة تذرِف دمعاً لم تقوَ على حبسه في مقلتيها، وقالت بصوت يخفق الغضب والحسرة:

- من الحساسة ان تأتي على ذكر تلك الليلة.

- لا انكر اني ابدو في بعض الاحيان فظاً وحقيراً، وهذا يعود لصراحي المفرطة. هل سبق وأخفيت عنك ما يدور في خلدي تجاهك؟

لم يعطها فرصة لتجيب على سؤاله، بل تقدم منها بسرعة وأمسك بكتفيها برفق، فشعرت بالارتياح وتمنت لو تستسلم مرة اخرى لتلك الاحاسيس الرائعة التي ترافق ملامسته لها. لكنها وبعد كل ما حدث لم تعد تجرؤ على ذلك.

- ارجوك يا دان، انا...

لم يدعها تكمل عبارتها وأدارها نحوه باسطة لها يده:

- هدنة؟ سنعلن هدنة هذه الليلة اذا اردت، وغداً بإمكانك ان تنعيتني بما يحلو لك من صفات.

ترددت لبرهة في الاجابة قبل ان تضع يدها في يده موافقة:

- حسناً، لكن ارجو ان تفهم اني قبلت اقتراحك حتى لا ازيد من هموم والدي.

- اني اتفهم موقفك... يا لنعومة هاتين اليدين الجميلتين!

ادركت انها ارتكبت خطأ فادحاً في تسليمه يدها وحاولت سحبها من براثن قبضته. لكنه شد على معصمها ومرر اصبعه بحركات ناعمة على راحة يدها، فتلاشت مقاومتها بسرعة وكادت ان تترمي مجدداً بين ذراعيه لكنها استطاعت في اللحظة الأخيرة ان تفلت يدها، وتبتعد عنه هامسة بصوت يقارب الحشجة:

- لا تفعل هذا!

انحنى امامها بحركة هازئة:

- ارجو ان تقبلي اعتذاري. ان تتركبي العمل وتوافينا الى غرفة الجلوس؟

اومات برأسها ايجاباً بعد ان استعادت بعضاً من هدونها:

- لبضع دقائق فقط، فالعشاء سيفسد ان ترك مدة اطول هنا.

مرت بقية السهرة بسلام، وزع دان اثناءها اهتمامه بين جوناثان واميليا بطريقة زادت من اعجابها به. فبالرغم من شغف الدكتور نيل بالكلام عن جراحة الاعصاب، تمكن دان من اختصار الحديث متجنباً ازعاج اميليا، وخاض معها في مواضيع تروقها ونثر اهتمامها. بقي في كامل تهذيبه ولياقته حتى اللحظة الأخيرة، وما ان دقت الساعة العاشرة حتى نهض مستأذناً للانصراف. حاولت اميليا ثنيه عن قراره لكنه اعتذر بلطافة:

- اعلم ان الوقت ما زال باكراً، لكن امامكم رحلة طويلة في الغد. رافقته جسيكا الى الخارج، متعجبة من صمته المفاجيء. لقد تصرفا بتودد امام والديها وتبادلا اطراف الحديث معها، وفجأة لم يعد هناك ما يقولانه لبعضهما. وصلا الى السيارة الغارقة في الظلام، فأمسك بيديها هامساً:

- تصبحين على خير.

ادركت انه يعلن نهاية الهدنة، فسحبت يديها من يديه وتراجعت عدة خطوات تبحث عن الأمان:

- طبت مساء يا دان.

اطلق احدى ضحكاته الساخرة فتردد صداها في ارجاء الحديقة، ومضى يشق طريقه بسرعة هائلة.

ما ان انضمت الى والديها في غرفة الجلوس حتى بادرتها اميليا قائلة:

- تصرفك الليلة يخالف ما قلته عن علاقتك بدان يا جسيكا.

اجابت الابنة بحذر:

- انا نتفق احياناً وليس دائماً.

- اظنه شاباً لطيفاً للغاية. اليس كذلك يا جوناثان؟

اجاب الوالد وهو يميل غليونه:

- كلمة لطيف ليست الصفة المناسبة لشخص مثل دان يا اميليا.

- كيف تصفه اذن؟

- لا اعلم، فأنا كما تعلمين لا اجيد اختيار الكلمات المناسبة.

قاطعتها جسيكا مقترحة:

- لنقل انه يجمع بين الذكاء الخارق والتعجرف ليحصل على ما يريد.

في الحياة .

- ارى انك تظهرين بعض الكره بالرغم من دقة وصفك له . انه ولا شك حاد الذكاء، لكن من الطبيعي ان يحتاج المرء بعضاً من الكبرياء في هذه الدنيا .

تهندت جسيكا بمرارة :

- قد تكون على حق يا والدي .

التفتت اليها اميليا قائلة :

- أمل ان تدعيه الى هنا عندما تأتي مرة اخرى .

- ان كنت معجبة به الى هذا الحد فسأفعل ما تطلبيته يا امي .

- انك تحيريني يا جسيكا . دان ترافورد هو اروع رجل رأيت منذ زمن طويل .

- اني اوافقك الرأي .

- الرجل لا يعبر الزواج اهتماماً الا عندما تدفعه المرأة المناسبة الى ذلك .

هتفت جسيكا ببأس :

- ومن قال لك اني هذه المرأة المناسبة التي ستجعل دان يفكر بالزواج؟

عدا عن اني لست مهتمة بالمحاولة .

نهض جوناثان عن كرسيه مقاطعاً :

- انه جواب كاف لانهاء النقاش . سأوي الى الفراش .

قامت اميليا بدورها قائلة :

- انتظري يا جوناثان (وتطلعت الى ابتها بشفقة مردفة) اتخني لو استطيع

فهمك يا جسيكا .

في الاسبوع التالي، شغل العمل جسيكا عن مكالمه دان، فأمضت

معظم امسياتها في المستشفى، ولم ترتد منزلها الا نادراً لتبذل بضعة ساعات

من النوم والراحة .

وصلت الى مسكنها مساء الجمعة آملة بقسط من الراحة بعد نهار طويل

قضته في المعاينات واستقبال المرضى . لكن آمالها تبخرت عندما رأت سيارة

غربية متوقفة امام المنزل، تراجلت منها سيدة غريبة، طويلة القامة تتمتع

بجمال وسحر خارقين، وتقدمت من جسيكا سائلة بصوت ناعم :

- دكتورة نيل؟

رمقتها جسيكا بنظرة شاملة قبل ان تجيب :

- نعم .

سلطت الزائرة الغربية عينها الخضراوين على جسيكا بطريقة وقحة

قائلة :

- كنت آمل ان اراك . انا سيلفيا سامرز .

عقدت المفاجأة لسان جسيكا :

- آه !

- اخالك قد سمعت باسمي من قبل .

نجحت جسيكا في اخفاء اضطرابها واجابت بهدوء مصطنع :

- اعتقد ان الدكتور ترافورد ان على ذكرك . تفضل بالدخول .

راحت جسيكا تتأمل ضيفتها الفاتنة الجالسة على الأريكة في مواجهتها .

جمالها لا يخفى على احد وانوثتها البالغة تسلب العقول والألباب، ولا

عجب من ان تتفق رجولة دان الجذابة مع هذه التحفة البديعة . وبعد

سكوت سألها بتهديب :

- هل من خدمة أؤديها لك يا آنسة سامرز؟

وضعت الزائرة رجلاً فوق الأخرى واجابت :

- ليس انت من سيؤدي الخدمة بل انا يا دكتورة . اعتبري ما سأقوله

الآن نوعاً من التحذير .

همت جسيكا بالاعتراض :

- آنسة سامرز، اظنك . . .

قاطعتها سيلفيا بهدوء :

- لا تسيئي فهمي . لست هنا لالعب دور عاشقة تلتهمها الغيرة أو

لاخدش عينيك لمحاولتك سلمي ما اعتبره خاصاً بي . جئت لأحذرك من ان

زواجك من دان حلم لن يتحقق ابداً، فهو لا يصلح لذلك . وان كنت

تظنين ان تحولك الى صديقة له سيمهد لك الطريق للنفاذ الى قلبه فأنت

مخطئة . قد تدوم علاقتكما سنة أو ستين وبعدها تتحولين الى صفحة بالية في

دفتر ذكرياته . هذا هو دان ترافورد، وتقييده بسلاسل الزواج يحتاج الى

امرأة خارقة تعرفه حق المعرفة .

ادركت جسيكا ان محدثتها لم تعنها هي بعبارتها الأخيرة، فهي منذ لقائهما

دان تستعد لهذه الصدمة لكنها لم تتوقع ان تكون بهذه القوة.

- ما الذي دفعك للاعتقاد بوجود علاقة بيني وبين دان؟

- دان اخبرني بذلك، ولا شك في انك بت تعلمين انه ليس من الذين يتلهون بالكلام، وعندما ينوي اثناء علاقة ما، فهو يعلن ذلك بكل بساطة ومن ثم يذكر الاسباب.

- دان اخبرك بوجود علاقة بيني وبينه؟

ابتسمت سيلفيا ببرودة:

- كلا، لكنه قال ما يعني: واريدها وسأحصل عليها، فكوني على حذر يا صغيرتي. أنت هدفه الآن وان لم تنصري بذلكه فستلغين ضربة موجعة للغاية.

- تتكلمين وكأنني طريفة سهلة المثال!

- بل هو الصياد البارع (ونهضت عن مقعدها ترمق جسيكا بنظرة ساخرة وأردفت) امر مضحك... لم اخله شيء الاختيار الى هذه الدرجة.

قطع الصمت الذي خيم بينهما هدير سيارة توقفت امام الباب، ووقع خطوات سريعة تقترب من المدخل.

- جسيكا... هل انت في الداخل؟

جمدت جسيكا في مكانها وقد عرفت صوت القادم فالتفتت الى ضيفتها لتلقاها متجهمة الوجه عرضة للارتباك.

التفت عينا دان بعيني جسيكا للحظات طويلة قبل ان يلتفت الى سيلفيا قائلاً بنبرة باردة:

- ظننتك عائدة الى برينوريا.

- هذا صحيح، فأنا على وشك الرحيل (ولوحت بيدها ضاحكة) استمتعا بوقتكما.

مرت بمحاذاتهما متجهة نحو الباب، مخلقة وراءها رائحة عطرها الذكية كحاجز بينهما.

ران الصمت على الغرفة لفترة قبل ان يقطعه دان قائلاً:

- لم اتوقع ابداً ان تأتي الى هنا. ماذا اخبرتك؟

لم تكن في حالة تسمح لها باعادة ما دار من حديث بينهما، فاكتفت بالاجابة بعصية:

- لم تحمل اخباراً جديدة.

اصر دان على سؤاله:

- هذا يترك مجالاً واسعاً للخيال، ومن الأفضل ان تخبريني.

- لا اخالك بحاجة للايضاح فيما يتعلق بشخصيتك، لكنني سأطلعك

على رأيي فيك (واستدارت ناحيته بعينين تقدحان شرراً وأردفت) انت

سافل ومتوحش، وكل ما احسه تجاهك الآن هو الازدراء والكراهة.

- اذن انت الآن تكرهيني، اليس كذلك؟

بدا كفهدها شرس يستعد للانقضاض على فريسته، فانكشمت على

نفسها تترقب هجومه. لكن شيئاً لم يحصل، بل جمد كل منهما في مكانه اثر

سماعهما رنين الهاتف في زاوية الغرفة.

تنفست الصعداء وتراجعت عدة خطوات من غير ان ترفع نظرها عنه

ورفعت السماعة محببة:

- الدكتورة نيل تتكلم. ما الامر يا سوزان؟

اصفرت جسيكا بانتيابها الى محدثتها ثم اعادت سماعه الهاتف الى مكانها

بمعجلة، واستدارت ناحية دان فلم تجده. فاستقلت سيارتها واتجهت

مباشرة الى المستشفى. لم تر دان بمثل هذا الغضب من قبل، وارتجفت يداها

على المقود لحظة تفكيرها بما كان سيحصل لو لم ينجدها رنين الهاتف في

الوقت المناسب. قادت السيارة كالمجنونة دامعة العينين، دامية القلب،

تفكر بكلام سيلفيا عن الرجل الذي بالرغم من كل ما سمعته عنه وذاقته

منه، بقيت حتى اليوم تحتفظ بنذر قليل من الأمل في صدق شعوره نحوها.

لكن الأمل تبخر الآن، وزالت معه صور مشرقة لمستقبل كانت معالمة قد

بدأت ترسم امام عينيها.

قضت جسيكا عدة ساعات في غرفة العمليات، تجري عملية ولادة

قيصرية لأحدى السيدات. وتوجهت بعدها مباشرة الى مكتبها بعد ان

اعطت تعليماتها الى الممرضات للاهتمام بالطفل وأمه خلال الليل.

لاحظت احدى الممرضات علامات الارهاق على وجهها فتقدمت منها

سائلة:

- تبدين هزيلة هذه الليلة يا دكتورة، هل اكلت شيئاً هذا المساء؟

- لم تسنح لي الفرصة بعد.

- هذا ما ظنته . سأتيك بالعشاء الى هنا .

عادت المرضية بعد قليل تحمل فنجاناً من الشاي وبعض السندويشات ، وضعتها على المكتب وغادرت الغرفة تاركة جسيكا غارقة في مقعدها مغمضة العينين ، شاردة الذهن . نظرت الى نفسها في المرآة فبدت نحيلة متعبة بعكس سيلفيا ذات الجمال الباهر والاطلالة الساحرة . لن تفوز ابداً بقلب دان ووجهه ، ولن تكون ابداً تلك المرأة الخارقة التي تكلمت عنها سيلفيا سامرز . . . اكتفت بتناول قطعة صغيرة من الجبن ، ثم حملت حقيبتها وغادرت مكتبها بخطى متناقلة بطيئة باتجاه مرآب السيارات . كل ما تحتاجه الآن هو ان ترتجى في سريرها لتنعّم بقليل من الراحة بعد هذه الليلة المضنية . . .

وصلت الى منزلها بعيد منتصف الليل ، فترجلت من السيارة بسرعة مهرولة نحو الباب . وما ان همت بالدخول حتى فوجئت بصوت دان هامساً خلفها :

- جسيكا؟

لم تحرك ساكناً ، تراقبه قادماً من الظلمة بقامته الطويلة ومنكبّيه العريضين . وتملكها الخوف عندما لاح لها وجهه الباسم فوضعت يدها على فمها تخنق صبيحة كادت تفضح امرها .

- اعتذر عما سببه لك من خوف .

حدقت في عينيه الرماديتين تعكسان النور القادم من الداخل وسألته بحيرة :

- ماذا تفعل هنا وفي مثل هذا الوقت؟

- يجب ان اكلمك .

- الا يمكن ارجاء ذلك الى الغد؟

- ما اريد قوله لا يحتمل التأجيل .

اغلقت الباب خلفه وتبعته الى غرفة الجلوس حيث رمت حقيبتها على احد المقاعد ووقفت تعبت بشعرها متشابها :

- قهوة؟

- ليس الآن . جسيكا ، جئت لأوضح لك . . .

التقطت انفاسها تنحضر للمناقشة وعلقت ضاحكة :

- توضح لي؟ لا اعتقد ان هناك شيئاً يستحق التوضيح .

- يراودني شعور بأن سيلفيا لم تخبرك بالحقيقة كاملة .

- يكفيني ما سمعته يا دان ، سبق وقلت لي مراراً انك تريدني وسيلفيا

كشفت لي عن عزمك لاستدراجي الى علاقة معك تسهل عليك الحصول على مرامك .

علت ضحكة مدوية لتزيد من غيظها :

- هل هذا ما قالته لك؟

- بربك يا دان ، هل تريدني ان اعيد حرفياً ما قالت؟

- لا يد من ان اعرف تماماً ما نسبته من اقوال الي .

- حسناً ، فيما يتعلق بي ، قلت لها انك تريدني وستحصل علي مهما كلف

الامر (ورمقته بنظرة تحد متابعة) وبالمناسبة اود ان الفت انتباهك الى انك

لن تنجح ابداً في مسعاك يا دان . تظن نفسك قادراً على اختيار اية امرأة

تريد وبالسهولة نفسها التي تختار ثيابك . فاعلم ايها المتعجرف اني سأخيب

املك . . .

- جسيكا . . .

- اياك ان تلمسني . حظي السيء هو الذي جمعني برجل مهاتر وعديم

الاحساس مثلك . والآن اطلب منك الانصراف حالاً .

تبدلت ملامح وجهه فجأة وتطاير الشرر من عينيه :

- لن ارحل من هنا قبل ان اقول ما جئت لاجله .

- لا احفل اطلاقاً بما ستقول . . .

لم يمهلهما فرصة اخرى بل انقض عليها ممسكاً بذراعيها وضمها اليه بقوة

خارت معها قواها فأحست بحاجة الى البكاء . وهي تحديق بعينيه

المتأججتين بنيران الغضب .

- ان كانت كلماتي لا تفني بالغرض يا جسيكا فسأجرب وسيلة اخرى .

فانتفضت كالمجنونة تحاول التخلص من قبضتيه من غير فائدة . لم يحفل

بالدموع الساخنة التي بللت وجنتيها . ولم يدعها الا بعد ان شل كل مقاومة

فيها فأبعدها عنه قائلاً :

- والآن ، هل مستمعين الى ما سأقوله؟

وقفت قبالة ترتجف كورقة يابسة ، تكفكف دموعها بعصية .

- اكرهك يا دان ترافوردا اكرهك. هل تسمعني!

- هل توافقين على الزواج مني يا جسيكا؟

سرت نفحة من الغضب في انحاء جسمها وصاحت بيأس:

- هل جنت؟ تعرض علي الزواج الآن لأنك عجزت عن نيل ماريك مني بالطرق الأخرى؟

- لم افكر بطرق اخرى يا جسيكا.

رفعت يداً مرتعشة تمسح دموعها ونظرت اليه تمنى ان تصدقه. لكن وجهه القاسي خلا من اية مسحة حنان أو عطف.

- انك لا تعني ما تقول يا دان، وتظن انه بإمكانك اقناعي بمثل هذه الكلمات. اقر بأنك واسع الحيلة. تعرف مني ترمي شباكك لكني للأسف لن اقع فيها.

افقده كلامها صوابه فرفع قبضته فجأة وهوى بها على حافة الأريكة القريبة:

- ويحك يا جسيكا! لماذا لا تصدقيني؟

- هل تذكر محادثتنا يوم استدرجتني الى منزلك لتناول العشاء؟ سخرت ليلتها من فكرة الزواج وأوضحت لي انك تريدني... كصديقة لك. رفضت عرضك ساعتها، فامضيت عطلة الاسبوع التالية مع سيلفيا سامرز.

- لوكد لك...

تابت كلامها وكأنها لم تسمعه:

- بعدها سألتني بكل وقاحة ان اقول نعم حتى تلغي سيلفيا سامرز من حياتك. ولا تسألني عن رأيي في رجل يتصرف بهذه الخساسة مع امرأة تقاسمه شفته وتمضي برفقته اياماً حميمة؟

- لم المسها قط.

ارتسمت ابتسامة هازئة على شفتيها:

- اهذا صحيح؟ انتوقع مني تصديق ذلك؟

- حاولت تجاهل ما احسه نحوك، لكنني لم اقدر. كنت بيني وبينها طوال الوقت وصورتك في عيني كيفما تحركت. صدقيني يا جسيكا لم افرح حتى على لمسها.

تغيرت ملامحه فجأة وغشت عينيه مسحة من البراءة والصدق، جعلتها فريسة الاضطراب من جديد، فاغمضت عينيهما تنصت اليه متابعاً كلامه:

- اخبرتها بعزمي على انتهاء علاقتي بها لكنها لم تصدقني. وجاءت الى منزلي بعد ظهر اليوم من غير ان ادعوها، فاطلعتها على الحقيقة كاملة بطريقة اعترف انها كانت قاسية وفضة بعض الشيء.

سأله بنبرة تقارب الحشرجة:

- هل قلت لها انك تريدني؟

- قلت لها اني اريد الزواج منك (لاحظ دهشتها فابتسم مردفاً) اردت ان اكون صريحاً وعادلاً معها ولكنها لم تبادلني حسن الصنيع. فسعت جاهدة لاطهاري بمظهر الكاذب امامك.

- لماذا تريد الزواج مني؟

- لأنك امرأة متفوقة ومختلفة يا جسيكا ومنذ البداية كنت بمثابة تحد بالنسبة الي، لست خارقة في الطب وحسب بل ايضاً في قيادة الطائرات، وكان علي ان اكتشف الناحية الانسانية فيك. سخرت منك لأنك تقممين عاطفتك في معالجتك للمرضى لكنك علمتني ما كنت اجهله، وأدركت ان في الطب ما هو ابعد من الدواء والجسم العليل. بسببك صرت اعني اهمية الناحية النفسية لدى المريض، واكثر ما اعجبني فيك شجاعتك و... (تقلصت عضلات وجهه فجأة وبان الخوف في عينيه وكأنه تذكر شيئاً فتابع بازتيك) يا الهي، لم اخف في حياتي كلها كما في ذلك اليوم الذي تسلقت فيه تلك الشاحنة لمساعدة السائق المحجوز في مقصورته. اصبت بالهلع يومها بمجرد تفكيري باحتمال انزلاق الشاحنة وانت بداخلها، فقدانك يحول حياتي قفراً مقيتاً يا جسيكا، صدقيني.

تركت انامله تعبت بخصرها، تشعر بفيض من الفرح يغمرها وأدنت جسمها منه مطلقاً تنهيدة طويلة:

- دان...

تقرب منها هامساً بصوت عذب صادق:

- احبك يا جسيكا.

كانت تظن انها لن تسمع هذه الكلمة منه، وها هو الآن يقولها بحنان كما تمتتها وحلمت بها.

السبت المقبل؟

- لا اعتقد ذلك ولكن، ماذا عن عملي مع بيترا؟
- لا مانع لدي في ان تابعي عمك حتى نهاية العقد.
- شيكيت يديها حول ساعده تسأله بركة:
- وبعد ذلك؟
- سندع للوقت الاجابة على ذلك.
- ورفع رأسه بنظر اليها بعينين تشعان حناناً حتى احست بعظامها تذوب تحت تأثيرهما وتابع قائلاً:
- انتظنين ان والدك سيكتفي بالقطيع الذي اهداني اياه الزعيم سدريك ليكون بمثابة مهر لعروسي؟
- عقدت حاجبيها بدلال محببة:
- لا تكن سخيفاً يا دان، فهو لا يولي هذه الامور اية اهمية. بالمناسبة، ماذا فعلت بذلك القطيع؟
- اعطيته لجوناس الخادم الذي يعمل في منزلي منذ سنوات، واقترحت عليه ان يبادر الى الزواج من امرأة تحيد الاهتمام بالمنزل والاعتناء بالاطفال في حال اردت ممارسة الطب بعد زواجنا.
- دفنت وجهها في صدره متممة بتأثر:
- آه يا دان، كم احبك!
- رفع وجهها بيده بتأملها:
- لم اعد احتمل غياب وجهك عني. لقد توردت وجنتك...
- اعلم ذلك، فأنا لم اعتد بعد التغلب على تأثير كلماتك في.
- تذكرت كلام الزعيم سدريك عن الدوما وتشبيهه الرجل عند البحث عن عروسه... «انه يزداد شراسة ونهماً كلما تمنع في بحثه ولا يترك لفريسته فرصة للهروب حينما يوجه ضربه».
- دان، حبيبي ارجوك...
- اتكأ على مرفقه مسلطاً عليها نظرات جامحة:
- اتظليلن مني التوقف؟
- اكثر ما يسعد الفتاة العاشقة هو ان تكون بين ذراعي حبيبيها، تسند رأسها الى صدره وتستمع الى كلمات قلبه. انا لا ابحت عن المتعة بقدر ما

- احب كل شيء فيك، مشيتك والبيحة التي تتناكب حين تضطربين.
- احب هاتين العينين الرائعتين تنشران السعادة حين تضحكين واحبهما تقدرحان شرراً عندما تغضبين (ورفع رأسه فجأة وتسمرت عيناه في عينها وكأنه يحاول النفاذ الى مكونات صدرها وتابع بالنبرة الخنونة نفسها) اشفقي علي يا جسيكا، فأنا لم احس بحاجتي الى حب امرأة كحاجتي الآن، ولا سبق ان ربطت مصيري بحب كما افعل الآن.
- ادهشها ما تسمعه منه فلم تقو على الكلام، ولكن الشك في قلبها بان بجلاء في عينها، فزجر خائفاً مما يراه:
- ارجوك يا جسيكا، لا تعذبيني هكذا.
- احبك. الم تلاحظ ذلك في مناسبات عديدة؟
- لمعت عيناه فرحاً وانفجرت اساريره:
- كيف لي ان اتأكد وانت لم تقولي كلمة واحدة؟
- وانت ايضاً لم تقل شيئاً.
- اخبرتك بانني اريدك.
- لم يكن كلامك مشجعاً وخاصة بالنسبة الى فتاة مثلي، تحترم مبادئ معينة في الحياة. لكنني لا اخفي عنك اني اصبحت جشعة فيما بعد و اردت الحصول على اضعاف ما تعرضه علي.
- اظن انك ستحصلين على اكثر مما كنت تتوقعين يا حبيبي.
- وضمها اليه بحنان، فاستندت رأسها بارتياح الى صدره الدافئ.
- واحست بلهائه يتسارع حول اذنيها، لكنه لم يحاول التماذي محجماً عن اخراجها كما في السابق، فارتقى على الأريكة وجذبها الى جانبه قائلاً:
- تلك الليلة في فندا، وبعد رقصة الأفعى لم انو اخرجك، لكن...
- اعلم ذلك. لقد كانت ليلة سحر مجنونة، وما كنت لاشعر بالحجل مما اقدمت عليه لو كنت اعلم حينها ان حبك لي يوازي حبي لك. لكنني ظننت...
- اكمل العبارة عنها مبتسماً بسخرية:
- لو لم تأت الممرضة راقيل لكنت علمت ليلتها كم احبك يا جسيكا.
- انقذتني بمجيئها من موقف حرج للغاية.
- انتظنين ان والديك سيعترضان على زواجنا ان قررناه يوم

ابحث عن سعادة الروح، ويكفي ان تضمني الى صدرك وتهمس لي
بكلمات عذبة حتى انسى كل ما حولي.

- احبك . . .

- قل لي يا دان، هل ازعجك طلبي منك بالتوقف؟

حدجها بنظرة ملؤها الحب والحنان:

- بل على العكس، انت على حق في كل ما قلته. خان موعد النوم،

ولست على استعداد لأن ابدأ حياتنا باستغلال فتاة تكاد تنهار من شدة
النعاس.

مرر انامله بنعومة على خديها وهمس مودعاً:

- سأراك غداً يا ملاكي.

وتناول سترته وخرج مغلقاً الباب خلفه بهدوء.

أوت الى سريرها تحضن صدي كلمات دان العذبة الرقيقة، تحلم

بالمستقبل وما يحمله من الآلام وآمال. غداً ستشرق شمس جديدة حاملة

معها حرارة الحنان ودفء السعادة، وستفتح لها ذراعيها مرحبة وتدفن في

لهيبها مرارة الماضي ودموعه، وتضيء بنورها شموع الأمل والحب . . .